بسم الله الرحمن الرحيم

معالم التجديد والنبوغ عند الإمام الشافعي في التفسير

د/ عبد السلام مقبل المجيدي[1]

almajeedy1973@gmail.com
almagidy@hotmail.com

ملخص البحث

تطرق البحث إلى الحياة القرآنية العلمية والمخبتة للإمام الشافعي، وبين ضرورة إبرازها على النحو الذي تبرز فيه جهوده الفقهية والأصولية، وتحدث البحث عن أصول العبقرية التفسيرية للإمام الشافعي، ومنها: الحفظ المبكر للقرآن الكريم، وجمعه بين الكتاب والسنة، وشعوره العميق بالجمال القرآني، ومعرفته بتفسير القرآن الكريم، وقيامه بحق التلاوة مع دقة التدبر، وتحدث البحث عن العبقرية التفسيرية للإمام الشافعي في نظر الآخرين، وبين البحث أبرز من جمع تفسير الإمام الشافعي، وتطرق بصورة خاصة إلى كتاب الرسالة كمصدر للتفسير وأصوله عند الشافعي،،وإلى كتاب أحكام القرآن، ثم فصل البحث بعضاً من معالم التجديد والعبقرية الكلية للشافعي: كتقعيده لمصادر التفسير، ومنها: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة النبوية المشرفة، وبين البحث أن من أهم القواعد التي قعدها في هذا المصدر قاعدة: السنة لا تخالف الكتاب، وذكر البحث أن الإمام أشار إلى تفسير القرآن بأقوال الصحابةﷺ، كما ذكر أن من المصادر التي اعتمدها في التفسير: العربية، وبين مدى حجية الشافعي اللغوية في نظر المحققين، وأنه دعا المسلمين من غير العرب إلى تعلم لسان العرب، وبين مدى استشهاده ثم بين أن من مصادر التفسير عنده التفسير بالاجتهاد، ومن الاجتهاد: عدم الانسياق وراء الحقيقة اللغوية بإطلاق، وذكر نماذج تفصيلية لمعالم التجديد والعبقرية عند الإمام الشافعي في التفسير، كعبقريته في المزج بين أصول الفقه وأصول التفسير، وتحديده لمحاور القرآن الكريم، ومقاصده، وبين البحث أنواع الطرق التي يستخدمها الإمام الشافعي في التفسير، وأوضح البحث نماذج للقواعد التفسيرية الدقيقة التي استعملها لفهم القرآن الكريم، ثم ذكر البحث العلاقة بين الشافعي المفسِّر وغيره من المفسرين.

Summary of the Research

The research addressed the scientific, Quranic life of Imam Al-Shafi'i and the need to be highlighted in a way that shows his efforts. The research talked about the origins of genius interpretation of Imam Shafi'i, including: the early memorization of the holy Qur'an, his

(١) أستاذ مشارك في قسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية/ جامعة ذمار/ اليمن.

comprehension of both Al-ketab and Sunnah, and his sense of the profound beauty of the holy Qur'an, his knowledge of Al-Tafseer, his accurate recitation.

The research also talked about how others think of the genius interpretation of Imam Shafi'I and mentioned those who collected Al-Shafi's tafseer, and referred in particular to Al-Resala book as a source of tafseer for Al-Shafi'i, and the book of principles (AHKAM) of the holy Quran.

Then the research explained in details some of the total features of innovation and genius of Al-Shafi'i in sources of Al-Tafseer, Including: the interpretation of Qur'an by the Qur'an, and interpretation of the Quran by the prophetic Sunnah.

The research indicated that one of the most important rules is this (Sunnah doesn't contradict Al-ketab), the research mentioned that Imam Al-Shafi'i referred to the interpretation of the Quran by the companions of the prophet, and also mentioned that some of the resources he relied on were; Al-Arabia, and the extent of Authentic Shafi'i language in the eyes of investigators, and that he called the non-Arab Muslims to learn the Arabic language, and showed his citations.

The research then gave some detailed examples of the features of innovation and genius of Al-Shafi'i, such as his magnificent method in combining the principles of Fiqha and the principles of interpretation, and identifying the axes of the holy Quran and its purposes.

The research showed the ways that Al-Shafi'i used in his interpretation. It also showed examples of accurate interpretive rules used by Al-shafi'i to understand the holy Quran, and then it analyzed the relationship between Al-Shafi'i (mufaser) and others (mufaserin).

بسم الله الرحمن الرحيم

معالم التجديد والنبوغ عند الإمام الشافعي في التفسير

د/ عبد السلام مقبل المجيدي[1]

almajeedy1973@gmail.com
almagidy@hotmail.com

مقدمة:

اللهم لك الحمد حمداً لا انقطاع لراتبه ولا إقلاع لسحائبه،كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.. نحمدك إلهنا حمداً نستنـــزل به الرحمة، ونستكشف به الغمة، وصلى الله على النبي المصطفى والخليل المجتبى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فلطالما انتسب الفقهاء والأصوليون إلى الإمام الشافعي[2]، وذهب جماهيرهم إلى تأسيسه علم أصول الفقه، وأما الفقه فهو إمام المذهب المعروف بالجمع بين الرأي والنقل.. وعلى الرغم من الإيجابية العظيمة التي انعكست على الإمام الشافعي ومذهبه وأتباعه في ذكر هذا السبق إلا أن ذلك أسهم على نحوٍ ما في عدم وضوح مدى العبقرية والتجديد الذي برز عنده في تفسير القرآن الكريم، وأغمض ما كان معروفاً من قوته في التدبر القرآني، وضيق ما كان واسعاً في تفسيره للقرآن الكريم، ولا ريب في أن الإمام الذي كان كالشمس للدنيا والعافية للناس[3] قد غذي بالقرآن، وارتشف خلق القرآن، وأثمر فيه تفكراً وتدبراً وتفسيراً، وحسن بيان، وإذا كان معظم الأصوليين قد جعلوا كتاب الرسالة أول كتابٍ أَسَّسَ لأصول الفقه فإنني أزعم أن كتاب الرسالة يُمَثِّلُ تقعيداً واضحاً لأصول التفسير في المقام الأول، وهو بيانٌ عجيب لكيفية فهم المراد القرآني، ولأن قومنا من الأصوليين والفقهاء يدعونها وقد طالت دعواهم لها وسينازعهم هذا البحث في ذلك فإن الإمام الشافعي لَخَّص فيها البيان القرآني، وشرح المعاني المستنبطة من الآيات، وكيفية الاستنباط على وجهٍ فريد، وتدبر جديد أذهل علماء عصره، كما بقيت آثاره لائحةً إلى يومنا هذا، ولذا رغبت في وضع دراسة تحليلية مختصرة للمنهجية التي اتبعها الإمام الشافعي في تفسير القرآن الكريم تبين أهم معالم التجديد والعبقرية التي اتسم بها الإمام الشافعي في تفسير القرآن الكريم وأصول التفسير، وتسلط الضوء على الحياة القرآنية في حياة هذا العلم الفذ، وذلك من خلال كتاب الرسالة، بالإضافة إلى نبذٍ مختارة من كتاب الأم، وكتاب أحكام القرآن، الذي جمع فيه الإمام البيهقي مواضع متفرقة من تفسيره بثت في باقي

---

(١) أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن- قسم الدراسات الإسلامية- كلية التربية/ جامعة ذمار/ اليمن.

(٢) كثر وطاب -بحمد الملك الوهاب- مترجمو الإمام الشافعي، وانظر على سبيل المثال: مناقب الشافعي للبيهقي، ومناقب الشافعي للرازي، ومناقب الشافعي للآبري، ومواهب الوفي في مناقب الشافعي للجعبري، وتوالي التأسيس بمعالي ابن إدريس، وأدب الشافعي لابن أبي حاتم، وممن ترجم له: حلية الأولياء ٦٣/٩، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر٢٦٧/٥١، معجم الأدباء: (رقم الترجمة٩٩٣) ٢٣٩٣/٦، سير أعلام النبلاء٥/١٠، الجزء الأول من طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي...وغيرها كثير.

(٣) كما وصفه الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى-. انظر: سير أعلام النبلاء٤٥/١٠.

كتبه، وقد منَّ الله عليَّ فقرأت كتاب الرسالة مسندة عن مجموعة من المشايخ منهم: الشيخ عبد الوكيل بن عبد الحق الهاشمي.

أسباب اختيار الموضوع:

١) إبراز الحياة القرآنية الرائعة للإمام الشافعي: تلاوة وتدبراً وتفسيراً وبياناً لأصوله للإفادة من تراث الشافعي في هذا الباب من العلم، وقد دخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رحمه الله تعالى المسجد وبين يديه المصحف فقال: شغلكم الفقه عن القرآن إني لأصلي العتمة وأضع المصحف في يدي فما أطبقه حتى الصبح(١).

٢) لبيان أن العظمة التي صبغت الشافعي إنما اكتسبها من القرآن ابتداءً: فهو الذي قال رحمه الله: "من تعلم القرآنَ عظُمَت قيمتُه، ومن نظر في الفقه نبُلَ مقدارُه، ومن تعلم اللغة- وقال الدسكري: ومن نظر في اللغة-رق طبعُه، ومن نظر في الحساب، - وقال الأزهري: ومن تعلم الحساب- تجزلَ رأيُه، ومن كتب الحديث قويت حجتُه، ومن لم يصن نفسَه، لم ينفعه علمُه"(٢).

٣) للقيام بحقوق الشافعي؛ فإن اشتهار الشافعي بالفقه وأصوله أغمط حقه في هذا الباب، وحاول الإمام البيهقي بيانه من خلال وضعه لأحكام القرآن لكنه بقي مقيداً في الأحكام دون نظرةٍ كليةٍ على حياة الشافعي القرآنية العلمية والعملية، والقيام بحق الأستاذية لأئمتنا شبيهٌ بالقيام بحقوق الوالدين فقد جعل الإمام النووي العلم كالرحم فقال عن عددٍ من أهل العلم: "وهو أحد أجدادنا في سلسلة التفقه"(٣)، وقال أيضاً: "ومنها أنهم أئمتنا وأسلافنا، كالوالدين لنا، وأجدى علينا في مصالح آخرتنا التي هي دار قرارنا، وأنصح لنا فيما هو أعود علينا، فيقبح بنا أن نجهلهم وأن نهمل معرفتهم"(٤)، وجعل النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- الرحم العلمية كالرحم النسبية فعن أَبِى هُرَيْرَةَﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم-: ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ))(٥)، وقد قيل:

أُفَضِّلُ أُسْتَاذي على فضل والِدِي * وَإن نالني من والدي المجد والشرف

فهذا مُربي الروحِ والروحُ جَوْهَرٌ * وذاكَ مربي الجسمِ والجسمُ كالصَّدَف(٦)

وقد قيل: أبو الإفادة أقوى من أبي الولادة.

وأنا لا أقول هذا ولا أجسر عليه، وفي الآيات القرآنية التي توصي بالوالدين ما يجعل في إطلاقه نظراً، ولكنني أقول في أئمتنا جميعاً:

جزى الله بالخيرات عنا أئمة ... لنا نقلوا القرآن عذباً وسلسلا(٧)

---

(١) البرهان في علوم القرآن١/٤٦٢.

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي١/١٥١، وانظر: جامع بيان العلم وفضله١/١٢٧و٢/١٦٩.

(٣) قال ذلك في المجموع في عدد من المواضع، وهو يترجم للأنماطي أبي القاسم عثمان بن سعيد، ولأبي العباس بن سريج، ولسفيان بن عيينة، ولأبي الحسن الماسرجِسي. انظر: المجموع١/٢٠٩، ٢١٢/١، ٤١/٣، ٣٥١/٣.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات١/١١.

(٥) سنن أبي داود١/٨.

(٦) انظر: نشر العبير في منظومة قواعد التفسير ص٣.

(٧) حرز الأماني ص٢.

وقد أصبح لي من صحبة الشافعي ما يوجب علي أن أرعى له ذمام التلمذة والانتساب فهو إمام المذهب الأعظم في اليمن كما هو من فتح الله به عقولنا على الجمع بين النقل والعقل والفقه والأدب، وقد روي عنه –رحمه الله– قوله الذي حفظته كتب المذاهب الأخرى تعظيماً وتفخيماً: الْحُرَّ مَنْ رَاعَى وِدَادَ لَحْظَةٍ، وَانْتَمَى لِمَنْ أَفَادَ لَفْظَةً(١)، وقيل:

صُحْبَةُ يومٍ نَسَبٌ قَرِيب ** وذمّة يَعْرِفها اللبِيب(٢)

منهج البحث:

يجري البحث على المنهج الوصفي، وأذكر فيه أبرز الأولويات التي أرساها الشافعي مما يدل على تجديده، وعبقريته سواء في القوانين الكلية أو المسائل التفصيلية، وأبرهن على ذلك بذكر مثالٍ أو أكثر لبيان حقيقة ما تم تقريره.

خطة البحث:

يمكن تلخيص أهم المباحث في الآتي:

المطلب الأول: الحياة القرآنية للإمام الشافعي.

المطلب الثاني: تفسير الإمام الشافعي.

المطلب الثالث: من معالم التجديد والعبقرية الكلية للشافعي: تقعيده لمصادر التفسير.

المطلب الرابع: نماذج تفصيلية لمعالم التجديد والعبقرية عند الإمام الشافعي في التفسير.

المطلب الخامس: بين الشافعي المفسِّر وغيره من المفسرين.

والبحث يصف معالم التجديد التي أسسها الشافعي في تفسير القرآن الكريم حيث (ألقى الله على قلبه نورًا) كما قال مالك(٣)، وسنرى في البحث أن المرء لا يملك أمام عظمة الإمام إلا أن يرجو أنه يصح فيه قول القائل:

بَهَرَتْ مَحَاسِنُهُ العُقولَ فما بدا إلاّ وسبَّحَ مَنْ رآهُ وكبَّرا

بَهَرَ المَلائِكَ في السّماءِ دِيانَةً الله أكبرُ ما أبرّ وأطهرا

بَينَ المُكَرَّمِ وَالمكارِمِ نِسْبَةٌ فلذاكَ لا تهوى سواهُ من الورى

لا ينكرُ الإسلامُ ما أوليتهُ بكَ لم يزلْ مستنجداً مستنصرا

وليهنِ مقدمكَ الصعيدَ ومن به ومَنِ البَشيرُ لمكّة أُمّ القُرَى

وَلَطالَما اشتاقَتْ لقُرْبِكَ أنفُسٌ كادَتْ منَ الأشواقِ أنْ تَتَفَطّرَا(٤)

---

(١) شرح خليل للخرشي ٢٦٧/٣.

(٢) محاسن التأويل ١١٦٥/٥.

(٣) انظر: تهذيب الأسماء واللغات ٤٧/١.

(٤) الأبيات لبهاء الدين زهير في ديوانه ص١١٨.

المطلب الأول: الحياة القرآنية للإمام الشافعي

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أصول العبقرية التفسيرية للإمام الشافعي.

الفرع الثاني: العبقرية التفسيرية للإمام الشافعي في نظر الآخرين.

الفرع الأول: أصول العبقرية التفسيرية للإمام الشافعي:

أولاً: الحفظ المبكر للقرآن الكريم:

حفظ الشافعي القرآن وهو ابن سبع سنين فقد نُقِلَ عنه أنه قال: حَفِظْتُ القُرْآنَ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِيْنَ، وَحَفِظْتُ (المُوَطَّأَ) وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ(١)، ولجودة حفظه وإتقانه فقد كان يقوم مقام المعلم في الإقراء مقابل عدم دفعه لأجرة الإقراء حيث قال: كُنْتُ يَتِيْماً فِي حَجْرِ أُمِّي، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَا تُعْطِينِي لِلْمُعَلِّمِ، وَكَانَ المُعَلِّمُ قَدْ رَضِيَ مِنِّي أَنْ أَقُوْمَ عَلَى الصِّبْيَانِ إِذَا غَابَ، وَأُخَفِّفَ عَنْهُ(٢).

وإسناده في القرآن يرجع إلى ابن كثير، وهو يرى العلمية المرتجلة لاسم (القرآن) الكريم بناءً على إسناد قراءته، وروايتها فقد قال: قرأْتُ القُرْآنَ عَلَى إِسْمَاعِيْلَ بنِ قُسْطَنْطِيْنَ. وَقَالَ: قَرَأْتُ عَلَى شِبْلٍ، وَأَخْبَرَ شِبْلٌ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بنِ كَثِيْرٍ، وَقَرَأَ عَلَى مُجَاهِدٍ، وَأَخْبَرَ مُجَاهِدٌ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَكَانَ إِسْمَاعِيْلُ يَقُوْلُ: القُرَانُ اسْمٌ لَيْسَ بِمَهْمُوزٍ، وَلَمْ يُؤْخَذْ مِنْ (قَرَأْتُ) وَلَوْ أُخِذَ مِنْ (قَرَأْتُ) كَانَ كُلُّ مَا قُرِئَ قُرْآناً، وَلَكِنَّهُ اسْمٌ لِلْقُرَانِ، مِثْلُ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ(٣)، وهذا من تمام التدبر، وهو دالٌ على مراعاته رحمه الله لقراءة ابن كثير.

ثانياً: جمعه بين الكتاب والسنة:

تنجلي المعاني القرآنية بصورتها الصحيحة من خلال بيان النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤]، ولذا كان الشافعي يُلَّقب بناصر الحديث(٤)، وكان يقول: قِرَاءةُ الحَدِيْثِ خَيْرٌ مِنْ صَلاَةِ التَّطَوُّعِ(٥)، ويقول: إِذَا رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ الحَدِيْثِ، فَكَأَنِّيْ رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-(٦)، ويقول: عَلَيْكُمْ بِأَصْحَابِ الحَدِيْثِ، فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ صَوَاباً(٧).

---

(١) سير أعلام النبلاء١٠/١١، وانظر: المناقب للرازي ص٣٧.

(٢) المصدر السابق١٠/١١، وانظر أيضاً: المناقب للرازي ص٣٧.

(٣) المصدر السابق١٠/١٣.

(٤) المصدر السابق١٠/٥.

(٥) المصدر السابق١٠/٢٣.

(٦) المصدر السابق١٠/٦٩.

(٧) المصدر السابق١٠/٧٠.

ثالثاً: شعوره العميق بالجمال القرآني:

شعر الشافعي بالجمال القرآني تلاوة وتدبراً وتأثراً، وزاد من ذلك أنه أوتي صوتاً حسناً فعن أَحْمَد بن صالح: كَانَ الشَّافِعِيُّ إِذَا تَكَلَّمَ، كَأَنَّ صَوتَهُ صَوْتُ صَنْجٍ وَجَرَسٍ، مِنْ حُسْنِ صَوْتِهِ(١)، وقال بحر بن نصر يقول: كنا إذا أردنا أن نبكي قلنا بعضنا لبعض: قوموا بنا إلى هذا الفتى المطلبي يقرأ القرآن، فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى يتساقط الناس بين يديه، ويكثر عجيجهم بالبكاء، من حسن صوته فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة(٢)، وقال عنه أيضاً: ما رأيت ولا سمعت كان في عصر الشافعي أتقى لله ولا أورع ولا أحسن صوتاً بالقرآن منه(٣).

وفي تفخيمه لكلام الله يقول: "وكتاب الله البيان الذي يشفي به من العمى، وفيه الدلالة على موضع رسول الله من كتاب الله ودينه واتباعه له وقيامه بتبيينه عن الله"(٤).

ومن أجمل القصص التي تدل على العاطفة القرآنية عند الشافعي ما ذكره عبد الله بن محمد البلوي: جلسنا ذات يوم نتذاكر الزهاد والعباد والعلماء، وما بلغ من فصاحتهم وزهدهم وعلمهم. فبينا نحن كذلك إذ دخل علينا عمر بن بنانة، فقال: فيم تتحاورون؟ قلنا: نتذاكر الزهاد والعباد وفصاحتهم، فقال عمر: والله ما رأيت رجلاً قط أورع، ولا أخشع، ولا أفصح، ولا أصبح، ولا أسمح، ولا أعلم، ولا أكرم، ولا أجمل ولا أنبل ولا أفضل من محمد بن إدريس الشافعي -رحمه الله- خرجت أنا وهو، والحارث بن لبيد إلى الصفا، وكان الحارث بن لبيد قد صحب صالحاً المري، وكان من الخاشعين المتقين الزاهدين. وكان حسن الصوت بالقرآن، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:٣٨-٤٠] . قال: فرأيت الشافعي قد اضطرب وتغير لونه، وبكى بكاءً شديداً حتى لصق بالأرض.قال: فأبكاني والله قلقه، وشدة خوفه لله -عز وجل- ثم لم يتمالك أن قال: إلهي، أعوذ بك من مقام الكذابين، وإعلام الغافلين. إلهي، خشعت لك قلوب العارفين. وولهت بك همم المشتاقين، فهب لي جودك، وجللني بسترك، واعف عني بكرم وجهك يا كريم(٥).

هذا هو الإمام الشافعي: الشخصية العلمية التي تكاد أن تكون كاملة فتجد فيه كل الصيد في جوف الفرا) فقد أُعطي ذكاءً وزكاءً وحياءً وقضاءً وهو أرفع مكاناً، وأجلّ شأنا:

وَالشَّمسُ في صَادِعِ أنوارهَا ** غنية عن صفة الواصف(٦)

رابعاً: معرفته بتفسير القرآن الكريم:

كان حريصاً على فهم القرآن وتدبره وتفسيره، فَيُرْوَى عَنه قوله: أَقَمْتُ فِي بُطُوْنِ العَرَبِ عِشْرِيْنَ سَنَةً، آخُذُ أَشعَارَهَا وَلُغَاتِهَا، وَحَفِظْتُ القُرْآنَ، فَمَا عَلِمْتُ أَنَّه مَرَّ بِي حَرْفٌ إِلاَّ وَقَدْ عَلِمْتُ المعنَى فِيْهِ وَالمُرَادَ، مَا خَلاَ حَرْفَيْنِ، أَحَدُهُمَا: دَسَّاهَا(٧)، وقال الرَّبِيعَ: قَلَّمَا كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَالْمُصْحَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَتَبَّعُ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ(٨)، وقَالَ

(١) المصدر السابق١٠/٤٩.

(٢) تهذيب الكمال٢٤/٣٦٨، طبقات الشافعية الكبرى٢/١١١.

(٣) المجموع شرح المهذب١/٣٠.

(٤) الرسالة١/١١٣.

(٥) تاريخ مدينة دمشق٥١/٣٣٦.

(٦) انظر: الروض الباسم لابن الوزير١/٣.

(٧) سير أعلام النبلاء١٠/١٢.

(٨) أسنده البيهقي في أحكام القرآن للشافعي ١/٢٠.

أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ بِنْتِ الشَّافِعِيِّ: سَمِعْتُ أَبِي وَعَمِّي يَقُوْلاَنِ: كَانَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ إِذَا جَاءهُ شَيْءٌ مِنَ التَّفْسِيْرِ وَالفُتْيَا، التَفَتَ إِلَى الشَّافِعِيِّ، فَيَقُوْلُ: سَلُوا هَذَا(١)، ومن تدبره العجيب قوله للمزني: شَيْءٌ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، تَدَعُ عِلْمَهُ، وَتَتَكَلَّفُ عِلْمَ الخَالِقِ، إِذَا هَجَسَ فِي ضَمِيرِكَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى اللهِ، وَإِلَى قَوْلِهِ تعَالَى:﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ الآيَةَ [البَقَرَةُ: ١٦٣-١٦٤] فَاسْتَدِلَّ بِالمَخْلُوْقِ عَلَى الخَالِقِ، وَلاَ تَتَكَلَّفْ عِلْمَ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ عَقْلُكَ(٢).

خامساً: قيامه بحق التلاوة مع دقة التدبر:

كان يجمع كثرة المراجعة مع شدة التدبر فأما شدة المراجعة فقد قال الحافظ أبو بكر: "قد كان الشافعي بأخرة يديم التلاوة ويدرج القراءة –ثم أسند عن الرَّبِيْعِ بنِ سُلَيْمَانَ قال-: كَانَ الشَّافِعِيُّ يَخْتِمُ القُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سِتِّيْنَ خَتْمَةً. ورَوَاهَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُ، فَزَادَ: كُلُّ ذَلِكَ فِي صَلاَةٍ(٣)، وذُكِرَ ورده في غير رمضان فعن الرَّبِيْع قال: كَانَ الشَّافِعِيُّ يَخْتِمُ القُرْآنَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ سِتِّيْنَ خَتْمَةً، وَفِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثِيْنَ خَتْمَةً(٤).

وأما كثرة التدبر فعن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيْلَ، حَدَّثَنِي حُسَيْنٌ الكَرَابِيْسِيُّ: بِتُّ مَعَ الشَّافِعِيِّ لَيْلَةً، فَكَانَ يُصَلِّي نَحْوَ ثُلُثِ اللَّيْلِ، فَمَا رَأَيْتُهُ يَزِيْدُ عَلَى خَمْسِيْنَ آيَةً، فَإِذَا أَكْثَرَ فَمائَةِ آيَةٍ، وَكَانَ لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ رَحمَةٍ إِلاَّ سَأَلَ اللهَ، وَلاَ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلاَّ تَعَوَّذَ، وَكَأَنَّمَا جُمِعَ لَهُ الرَّجَاءُ وَالرَّهْبَةُ جَمِيْعاً(٥).

ومن جمال تدبره واستنباطه لمعاني القرآن الكريم مع كثرة المراجعة أنه جَاءَه شَيْخٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ صُوفٌ، وَفِي يَدِهِ عُكَّازَةٌ، فَقَامَ الشَّافِعِيُّ وَسَوَّى عَلَيْهِ ثِيَابَه، وَسَلَّمَ الشَّيْخُ وَجَلَسَ، وَأَخَذَ الشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَى الشَّيْخِ هَيْبَةً لَهُ، إِذْ قَالَ الشَّيْخُ: أَسْأَلُ؟ قَالَ: سَلْ. قَالَ: مَا الحُجَّةُ فِي دِيْنِ اللهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللهِ. قَالَ: وَمَاذَا؟ قَالَ: سُنَّةُ رَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. قَالَ: وَمَاذَا؟ قَالَ: اتِّفَاقُ الأُمَّةِ. قَالَ: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ: اتِّفَاقُ الأُمَّةِ؟ فَتَدَبَّرَ الشَّافِعِيُّ سَاعَةً، فَقَالَ الشَّيْخُ: قَدْ أَجَّلْتُكَ ثَلاَثاً، فَإِنْ جئْتَ بِحُجَّةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَإِلاَّ تُبْ إِلَى اللهِ -تَعَالَى-. فَتَغَيَّرَ لوْنُ الشَّافِعِيِّ، ثُمَّ إِنَّهُ ذَهَبَ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى اليَوْمِ الثَّالِثِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ، وَقَدِ انْتَفَخَ وَجْهُهُ، وَيَدَاهُ، وَرِجلاَهُ، وَهُوَ مِسْقَامٌ، فَجَلَسَ، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ جَاءَ الشَّيْخُ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ، فَقَالَ: حَاجَتِي. فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: نَعمْ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُوْلَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيْلِ المُؤْمِنِيْنَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى..﴾ الآيَةَ [النِّسَاءُ:١١٥].قَالَ: فَلاَ يُصْلِيهِ عَلَى خِلاَفِ المُؤْمِنِيْنَ إِلاَّ وَهُوَ فَرْضٌ. فَقَالَ: صَدَقْتَ، وَقَامَ فَذَهَبَ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: قَرَأْتُ القُرْآنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيلَةٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِ(٦).

---

(١) سير أعلام النبلاء١٠/١٧.

(٢) المصدر السابق١٠/٣٢.

(٣) تهذيب الكمال٢٤/٣٦٧، وانظر: سير أعلام النبلاء١٠/٣٦، ولو قيل الاستحالة هاهنا أو الصعوبة الشديدة لذلك مع ظهور انشغال الإمام بالتعليم والناس فالجواب: أن المبالغة في الذكر لذلك تدل على بقاء أصل الإكثار من تلاوة القرآن الكريم.

(٤) سير أعلام النبلاء١٠/٨٣، وفي النفس شيء من القراءة السريعة على هذه الهيئة بأن يختم القرآن كل يوم، ولم يسعف الوقت للتأكد من صحة الرواية، ولكن أصل الروايات واضح في شدة اتصال الشافعي بالقرآن الكريم، ورواية استنباطه للإجماع من سورة النساء الآتية تدل على هذا العلاقة الرائعة للشافعي بالقرآن الكريم.

(٥) سير أعلام النبلاء١٠/٣٥.

(٦) المصدر السابق١٠/٨٣.

ويقول يُونُسُ بنُ عَبْدِ الأَعْلَى: مَا رَأَيْتُ أَحَداً لَقِيَ مِنَ السُّقْمِ مَا لَقِيَ الشَّافِعِيُّ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اقرَأْ مَا بَعْدَ العِشْرِيْنَ وَالمائَةِ مِنْ آلِ عِمْرَانَ، فَقرأْتُ، فَلَمَّا قُمْتُ، قَالَ: لاَ تَغْفَلْ عَنِّي فَإِنِّي مَكْرُوبٌ. قَالَ يُونُسُ : عَنَى بِقِرَاءتِي مَا لَقِيَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ أَوْ نَحْوَهُ(١) فيا لهذا التدبر، وما أجمل معالجة الكرب بتلاوة القرآن والشعور بمعانيه والتأثر.

وحتى مماته رحمه الله اقترنت به قصة فيها معنى قرآني فعن الربيع قال: رأيت في المنام أن آدم صلى الله عليه وسلم مات فسألت عن ذلك فقيل هذا موت أعلم أهل الأرض لأن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها فما كان إلا يسيراً فمات الشافعي(٢).

وبناء على هذه القوة العلمية للشافعي في علم القرآن الكريم تلاوة وتأثراً وتدبراً وتفسيراً فقد كان يخصص وقتاً للمتخصصين فيه، فقد قال الربيع بن سليمان: (كان الشافعيُّ رحمه الله يجلس في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف رضي الله عنه)(٣).

سادساً: ظهور الصبغة اللفظية والشعورية القرآنية على تعبيراته:

وهذا من مظاهر ملكته التفسيرية، ومن ذلك مثلاً التأله الذي تظهر المسحة القرآنية عليه ابتداءً من أول كتاب الرسالة فهو يقول: "الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون والحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه توجب على مؤدي ماضي نعمه بأدائها نعمة حادثة يجب عليه شكره بها، ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه. أحمده حمداً كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به، وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه، وأستغفره لما أزلفت وأخرت: استغفار من يقر بعبوديته ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجيه منه إلا هو..."(٤)، والابتداء عليه الجلال القرآني في حمد الله الذي وحده علا، وتمجيد النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- لربه بوجه قد أسفر حسنه وجلا، وفعله رحمه الله يجعلنا نستسمح المضيقين على الناس في استخدام النص الخاص بخطبة الحاجة في كل حاجة وداجة(٥)، والإتيان بخطبة الحاجة جميل إلا أن الحجر على الناس في استعمال غيرها غير معروف عند السلف، وها هو ابتداء الشافعي لكتابه أتى فيه بما يشبه خطبة الحاجة وزينه ودبجه رحمه الله.

الفرع الثاني: العبقرية التفسيرية للإمام الشافعي في نظر الآخرين(٦):

إذ ظهر لأهل العلم نبوغ الإمام الشافعي في فهم القرآن، وما حباه الله تعالى من مَلَكَةٍ استنباطية وتدبرية في القرآن الكريم وتأثروا بذلك بل ألف بعضهم كتبه بناء على هذا التأثر، وممن تأثر به وتتلمذ عليه الإمام أحمد بن حنبل، فقد رد على بعض

---

(١) المصدر السابق١٠/٧٥.

(٢) المجموع شرح المهذب١/٢٤.

(٣) معجم الأدباء٦/٢٤٠٥.

(٤) الرسالة١/٧.

(٥) الداجة ما لا يذكر استحقاراً، وقيل هو إتباعٌ لحاجة. انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس٢/١٨٨ .

(٦) انظر: مناقب الشافعي للرازي ص٥٨ وما بعدها في حكاية ثناء الأئمة عليه.

أصحابه —وكان جالساً في حلقة الشافعي– ممن قال له: أبا عَبْد الله تركت ابن عيينة وعنده الزهري وعَمْرو بن دينار وزياد بن علاقة ومن التابعين ما الله به عليم. قال: اسكت فان فاتك حديث بعلو تجده بنـــزول ولا يضرك في دينك ولا في عقلك ولا في فهمك إن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة ما رأيت أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي، قلت: من هذا ؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي(١).

وقال داود بن علي الظاهري في كتاب مناقب الشافعي: " قال لي إسحق بن راهويه: ذهبت أنا وأحمد بن حنبل إلى الشافعي بمكة فسألته عن أشياء، فوجدته فصيحاً حسن الأدب، فلما فارقناه أعلمني جماعة من أهل الفهم بالقرآن أنه كان أعلم الناس في زمانه بمعاني القرآن، وأنه قد أوتي فيه فهماً، فلو كنت عرفته للزمته. قال داود: ورأيته يتأسف على ما فاته منه "(٢).

ومن ذلك قَول أبي بكر أحمد بن محمد بن عبيدة: كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى تَفْسِيرَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ ابْنِ وَهْبٍ، فَقَالَ لَنَا يُونُسُ: كُنْتُ أَوَّلًا أُجَالِسُ أَصْحَابَ التَّفْسِيرِ وَأُنَاظِرُ عَلَيْهِ وَكَانَ الشَّافِعِيُّ إِذَا أَخَذَ فِي التَّفْسِيرِ كَأَنَّهُ شَهِدَ التَّنْزِيلَ(٣).

وكان الجاحظ يقول: " نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا في العلم، فلم أر أحسن تأليفاً من المطلبي، كأن لسانه ينظم الدر"(٤).

وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: كَانَ الشَّافِعِيُّ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ، وَآدَبِ النَّاسِ، وَأَعْرَفِهِم بِالقِرَاءَاتِ(٥).

---

(١) حلية الأولياء ٩٩/٩.

(٢) تاريخ دمشق٣٣٠/٥١، وانظر: من مقدمة الشيخ أحمد شاكر للرسالة ص٦.

(٣) أحكام القرآن ص١٩، سير أعلام النبلاء٨١/١٠.

(٤) المناقب للبيهقي٥١/٢، المناقب للرازي ص٢٣٩.

(٥) سير أعلام النبلاء٨٠/١٠.

المطلب الثاني: تفسير الإمام الشافعي

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: جمع تفسير الشافعي.

الفرع الثاني: كتاب الرسالة كمصدر للتفسير وأصوله عند الشافعي.

الفرع الثالث: كتاب أحكام القرآن.

الفرع الرابع: أهم المؤلفات في أحكام القرآن في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

الفرع الأول: جمع تفسير الشافعي:

حاول عددٌ من المتأخرين جمع تفسير الإمام الشافعي ومن هذه المحاولات:

١)تفسير الإمام الشافعي **جمع وتحقيق ودراسة:** د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه) **الناشر:**دار التدمرية – المملكة العربية السعودية **الطبعة الأولى:** ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦ م **عدد الأجزاء:** ٣.

٢) جهود الإمام الشافعي في التفسير وعلوم القرآن للأستاذ علي مصطفى عبد الرزاق جابر (رسالة ماجستير)، جامعة الأزهر.

٣)تفسير الإمام الشافعي لمحدي ين منصور بن سيد الشورى، طبع في دار الكتب العلمية في بيروت، ١٤١٦ه-١٩٩٥م.

٤)منهج الإمام الشافعي في تفسير آيات الأحكام لمحب الدين عبد السبحان 1407هـ، وهو عبارة عن رسالة ماجستير.

٥)وفي قسم الكتاب والسنة في جامعة أم القرى ثلاث رسائل لجمع المأثور من تفسير الشافعي.

الفرع الثاني: كتاب الرسالة كمصدر للتفسير وأصوله عند الشافعي:

تعد كل كتب الإمام الشافعي من مصادر التفسير؛ لنبوغه في استنباط الفكر الإسلامي المتجدد من المصدر العلمي والإيماني الأول، وهو القرآن الكريم، ولكننا سنركز في الذكر على كتابين هامين:

أولهما: كتاب الرسالة، والثاني: كتاب أحكام القرآن.

فأما كتاب الرسالة فيكاد أهل العلم في القديم والحديث أن يجمعوا على أن الشافعي أول من وضع علم أصول الفقه في كتابه الرسالة كما قال الفخر الرازي: "اتفق الناس على أن أول من صنف في هذا العلم هو الشافعي، وهو الذي رتب أبوابه، وميز بعض أقسامه عن بعض، وشرح مراتبه في الضعف والقوة...واعلم أن نسبة الشافعي إلى علم أصول الفقه كنسبة أرسطاطاليس الحكيم إلى علم المنطق، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض"(١)، وقال بدر الدين الزركشي: "

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ص١٥٣و١٥٦.

الشَّافِعِيُّ رضي اللَّهُ عنه أَوَّلُ من صَنَّفَ في أُصُولِ الْفِقْهِ صَنَّفَ فيه كِتَابَ الرِّسَالَةِ وَكِتَابَ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَاخْتِلَافِ الحديث وَإِبْطَالِ الِاسْتِحْسَانِ وَكِتَابَ جِمَاعِ الْعِلْمِ وَكِتَابَ الْقِيَاسِ"(١).

لا جرم لا ينازعهم المرء في هذه الأولية الحقيقية للشافعي رحمه الله..ولكنني أنازعهم حصرية الرسالة في أصول الفقه فإن كان لا بد من الحصرية فهي تكاد أن تكون أصولاً للتفسير، غير أني أزعم أنها مشتركة بين الأمرين فهي أصولٌ للفقه كما هي أصولٌ للتفسير، وفيها تقعيد أولي لأصول الحديث (مصطلح الحديث)، وأهم دليلٍ على ذلك:

أن أصل تأليفها يبين ذلك: إذ كتب إليه عبد الرحمن بن مهدي ما رواه أَبو ثَوْرٍ الكَلْبِيُّ قَالَ: كَتَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيٍّ إِلَى الشَّافِعِيِّ وَهُوَ شَابٌّ أَنْ يَضَعَ لَهُ كِتَاباً فِيْهِ مَعَانِي القُرْآنِ، وَيَجْمَعَ قَبُوْلَ الأَخْبَارِ، وَحُجَّةَ الإِجْمَاعِ، وَبَيَانَ النَّاسِخِ وَالمَنْسُوخِ، فَوَضَعَ لَهُ كِتَابَ (الرِّسَالَةِ)(٢)، وقال علي بن المديني-أحد تلامذة ابن مهدي-: " قلت لمحمد بن إدريس الشافعي أجب عبد الرحمن بن مهدي عن كتابه، فقد كتب إليك يسألك، وهو متشوق إلى جوابك. قال: فأجابه الشافعي، وهو كتاب الرسالة التي كتبت عنه بالعراق، وإنما هي رسالته إلى عبد الرحمن بن مهدي، وأرسل الكتاب إلى ابن مهدي مع الحارث بن سريج النقال الخوارزمي ثم البغدادي، وبسبب ذلك سمي (النقال) ، والظاهر عندي أن عبد الرحمن بن مهدي كان إذ ذاك في بغداد، دخلها سنة ١٨٠، ولكن الفخر الرازي يقول في كتاب مناقب الشافعي: " اعلم أن الشافعي رضي الله عنه صنف كتاب الرسالة ببغداد، ولما رجع إلى مصر أعاد تصنيف كتاب الرسالة، وفي كل واحد منهما علم كثير "، وأياما كان فقد ذهبت الرسالة القديمة، وليس في أيدي الناس الآن إلا الرسالة الجديدة، وهي هذا الكتاب، والشافعي لم يسم (الرسالة) بهذا الاسم، إنما يسميها (الكتاب) أو يقول (كتابي) أو (كتابنا)... ويظهر أنها سميت " الرسالة " في عصره، بسبب إرساله إياها لعبد الرحمن بن مهدي(٣).

وإذا قيل: قد غلب على تفسيره الأحكام؛ فيمكن الجواب على ذلك: بأن هذا دليل لظهور التفسير عنده حتى تخصص في استخلاص مسائل الفقه مما فهمه من تفسير القرآن الكريم، على أنه قد برز في ثنايا كلامه تفسير لمجموعة من الآيات لا تعلق لها بالأحكام، وقد قال أحمد شاكر تعليقاً على فهرسته للآيات الواردة في كتاب الرسالة: "فهذا الفهرس جليل جداً؛ إذ يفيد منه القارئ تفسير الشافعي لكثير من آيات الكتاب الحكيم، ولو صنع مثل هذا لكل كتب الشافعي كانت لنا مجموعة نفيسة رائعة من قول الشافعي وفقهه في تفسير القرآن لا نكاد نجد مثلها في كتاب من كتب التفسير"(٤)، واستفاد الدكتور/ أحمد بن مصطفى الفران من هذه المعلومة فجمع تفسير الشافعي، وبموجب استقصائه للآيات التي ذكرها الشافعي في الرسالة وحدها وجد أن هذه الآيات وردت في (٩٥) سورة، وتكلم فيها في تفسير أكثر من (٧٤٥) آية، وكون معظمها في الأحكام لا ينفي عنها صفة التفسيرية على ما هو معلوم(٥).

وقد نال كتاب الرسالة من مراجعة الشافعي واجتهاده ما جعله يخرج بثوبٍ سبق زمنه فيه من حيث التحليل والتدقيق والتأنق في السرد والعرض والبساطة في اللغة مع المتانة في العربية فقد قال الفقيه أبو إبراهيم المزنيّ رحمه الله:" قرأت كتاب

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه١/١٠.

(٢) معرفة السنن والآثار١/ ١٩٩، سير أعلام النبلاء١٠/٤٤.

(٣) انظر: مقدمة الشيخ أحمد شاكر للرسالة ص١١و١٢.

(٤) الرسالة٣/٦١٢.

(٥) تفسير الإمام الشافعي١/١٢.

الرّسالة على الشّافعيّ ثمانين مرّة، فما من مرّة إلاّ وكان يقف على خطأ، فقال الشّافعيّ: هِيْه، أبى الله أن يكون كتاباً صحيحاً غير كتابه"(١).

الفرع الثالث: كتاب أحكام القرآن:

نسبة الكتاب إلى الإمام الشافعي:

أشار الشافعي في الرسالة إلى كتاب له في أحكام القرآن فقال: "وفي القرآن ناسخ ومنسوخ غير هذا مفرق في مواضعه في كتاب أحكام القرآن"(٢)، وأشار ابن النديم في الفهرست إليه ضمن مؤلفات الشافعي(٣)، ولكن الموجود في أيدينا اليوم هو كتاب أحكام القرآن للإمام المعظم والمجتهد المقدم أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة (٢٠٤هـ) جمعه الإمام أحمد بن الحسين بن علي البيهقي صاحب السنن المتوفى سنة (٤٥٨هـ)، وهو –كما قال السبكي– كتاب نفيس من ظريف مصنفات البيهقى(٤).

وقد اجتمع في هذا الكتاب كفاءتان عظيمتان: كفاءة الإمام الشافعي، وكفاءة مجدد فكر الإمام الشافعي: البيهقي، وبلغت الآيات المستشهد بها نيفاً وسبعمائة آية، وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الجليل الشيخ محمّد زاهد الكوثري، وعني بنشره عزت العطار سنة ١٣٧١هـ، ١٩٥١م، وقد أعيد نشره بدار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٣٩٥هـ، بعناية عبد الغني عبد الخالق، محمد شريف سكر، ووضعا له عناوين فرعية.

هل تصح نسبته إلى الإمام الشافعي؟

القول بالصحة متوجهٌ؛ لأن الأقوال الواردة مسندة إلى الإمام الشافعي فالكلام في الكتاب ما خلا الإسناد هو كلام الشافعي، وذلك مثل حديث النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– إذ هو تأليف الأئمة البخاري ومن معه، ولكنه يحوي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو فعله أو تقريره، وللمؤلف الجمع، والتأليف معناه الجمع والضم، ولكن ما فيه من آراء يدل على ما تبناه الشافعي كما يدل على أنها آراء البيهقي إلا أن يعقب عليها(٥)، ومثل ذلك ديوان الإمام الشافعي الذي ثبتت نسبته إليه، فإن المتأخرين هم من جمعوه، وتصح نسبته إليه.

وصف الكتاب:

الكتاب كما سماه البيهقي أحكام القرآن، ولكنه: وصف لاستنباط أصول الفقه وأصول التفسير من القرآن الكريم فهو ليس سرداً لكل حكم جزئي فقهي استنبط من آية قرآنية، وهو يبين باستيعابٍ بليغٍ كيفية الاستدلال على معالم أصول الفقه من القرآن الكريم كالمصادر الأربعة، الاستدلال على السنة، حجية خبر الواحد، وإبطال الاستحسان، ثم نقل عنه البيهقي تفسيره لآيات متعددة على ترتيب كتب الفقه، ثم تفسيره لآيات على هيئة غير مرتبة، فأحياناً تتعلق بالأحكام الفقهية كقوله

---

(١) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي١/٩و١٠.

(٢) الرسالة١/١٤٥.

(٣) انظر الفهرست ص٢٦٤.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٢ / ٩٧، وانظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات(رسالة علمية) ص٥٨.

(٥) البيهقي وموقفه من الإلهيات(رسالة علمية) ص٥٣.

تعالى:﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾ [المائدة:٦]، وأحياناً تفسيراً يتعلق بجوانب عقدية كقوله تعالى:﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين:١٥]، وأحياناً تفسيراً مطلقاً كقوله تعالى:﴿ وهو أهون عليه﴾[الروم:٢٧].

الفرع الرابع: أهم المؤلفات في أحكام القرآن في القرنين الثاني والثالث الهجريين:

اخترت هذين القرنين لأنهما اللذان عاش فيهما الإمام الشافعي، وقد سبق أن الإمام ألف كتاباً بهذا الاسم لم يصلنا أو أنه عنى كتبه الأخرى لشدة ارتباطها الفقهي بالقرآن الكريم، ومن أهم الكتب التي كتبت في هذه المرحلة الزمنية(١):

١) أحكام القرآن لأبي النضر محمد بن السائب الكلبي (ت١٤٦هـ)، رواه الكلبي عن ابن عباس، والكلبي هو العلامة الأخباري، رأس في الأنساب، إلا أنه شيعي متروك الحديث.

٢) تفسير خمسمائة آية من القرآن في المأمورات والمنهيات لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الخرساني (ت١٥٠هـ)، العلامة الجليل، المشهور بالتفسير. اختلف العلماء في أمره، فمنهم من وثقه، ومنهم من نسبه إلى الكذب، وهذا التفسير مخطوط في المتحف البريطاني.

٣) مجرد أحكام القرآن لأبي زكريا يحيى بن آدم بن سليمان الأموي الكوفي (ت٢٠٣هـ)، الإمام الحبر، المقرئ الحافظ الفقيه.

٤) أحكام القرآن لأبي ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان البغدادي (ت٢٤٠هـ)، أحد أعيان بغداد علما وحديثاً وفقهاً وورعاً وفضلا، صنف الكتب، واشتغل بالسنة، ذاباً عنها، قامعاً لمخالفيها. كان حسن النظر، ثقة فيما يروي من الآثار.

٥) أحكام القرآن: لأبي الفضل أحمد بن المعذل بن غيلان البصري (ت٢٤٠هـ) الفقيه المتكلم الزاهد النظار، آية في الحفظ والذكاء، صاحب مؤلفات.

٦) إيجاب التمسك بأحكام القرآن: لأبي محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي المروزي البغدادي (ت٢٤٢هـ)، الفقيه المجتهد المصنف. كان سني العقيدة. قلده المأمون القضاء وتدبير مملكته. اختلف المحدثون في توثيقه.

٧) أحكام القرآن: لأبي الحسن علي بن حجر بن إياس السعدي المروزي (ت٢٤٢هـ) الحافظ المتقن الصدوق الثقة الفاضل. اشتهر حديثه بمرو.

٨) أحكام القرآن: لأبي عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري البصري الأزدي الضرير (ت٢٤٦هـ)، المقرئ المشهور. قرأ القرآن على جماعة من الأكابر، ومال إلى الكسائي من بينهم، فكان يُقْرِئ بقراءته، واشتهر بها.

٩) أحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني (ت٢٥٦هـ) الإمام الفقيه الثقة، تفقه بأبيه، واشتهر بجودة النظر، ومعرفة اختلاف الناس، والرد على أهل الأهواء، والذب عن مذهب مالك. فتح له باب التأليف فأجاد فيه وأبدع.

١٠) أحكام القرآن: لأبي بكر أحمد بن عمر بن مهير الخصاف الشيباني (ت٢٦١هـ)، العالم الفاضل، الفارض الحاسب، العارف بمذهب أصحابه. مقدماً عند المهتدي بالله، وصنف له تآليف حساناً.

---

(١) انظر: علم أحكام القرآن دراسة في نشأته وتطوره ومدوناته للدكتور/ مولاي الحسين بن الحسن ألحيان الأستاذ المشارك في كلية التربية/ فرع الطائف/ جامعة أم القرى/ مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٦، ع٢٨، شوال١٤٢٤هـ.

١١) أحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت٢٦٨هـ)، الفقيه النبيل المبرز الوجيه، من أهل النظر والمناظرة والحجة، تشد إليه الرحال من الأندلس والمغرب في العلم والفقه. له تآليف حسان في فنون من العلم.

١٢)أحكام القرآن: لأبي سليمان داود بن علي بن داود بن خلف الأصبهاني البغدادي. (ت٢٧٠هـ) إمام أصحاب الظاهر، الورع الناسك الزاهد. في كتبه حديث صالح كثير لكن الرواية عنه عزيزة جدا.

١٣)أحكام القرآن: لأبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي (ت٢٨٢هـ) العالم الفقيه المتفنن، شيخ المالكية بالعراف في وقته. جمع علم القرآن والحديث والفقه والآثار شرح مذهب مالك ولخصه، واحتج له. وصنف كتباً نفيسة، وهو كتاب لم يسبقه أحد من أصحابه إلى مثله. توجد قطعة منه بالقيروان بتونس كتبت بتاريخ ٤٠٢هـ كما ذكر سزكين من غير رقم.

١٤)الدراية وكنـــز الغاية في تفسير خمسمائة آية: لمؤلفه بن الحواري الإباضي العماني (ق.٣هـ). وهو مطبوع ببيروت، دار اليقظة العربية ١٩٧٤م.

المطلب الثالث: من معالم التجديد والعبقرية الكلية للشافعي: تقعيده لمصادر التفسير

وفيه ستة فروع:

الفرع الأول: مصادر التفسير عند الشافعي.

الفرع الثاني: تفسير القرآن بالقرآن عند الشافعي.

الفرع الثالث: تفسير القرآن بالسنة النبوية المشرفة.

الفرع الرابع: تفسير القرآن بأقوال الصحابةﷺ.

الفرع الخامس: من المصادر التي اعتمدها في التفسير: العربية.

الفرع السادس: التفسير بالاجتهاد مع بيان حجية الاجتهاد.

الفرع الأول: مصادر التفسير عند الشافعي:

هي التي سماها الزركشي (أمهات مآخذ التفسير)، وهي "المراجع الأولية التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره لكتاب الله، وإنما قيل: "المراجع الأولية"؛ لئلا تدخل كتب التفسير؛ لأنها تعد مصادر، ولكن الحديث هنا ليس عنها"([1])، وقد سماها ابن تيمية: طرق التفسير، وأحسنها عنده أربعة: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابةﷺ، وأقوال التابعين في التفسير([2])، وسماها الزركشي أمهات مآخذ التفسير، وهي عنده أربعة: بحذف الأول والأخير، وإضافة اللغة، ثم التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع([3])، وترجع إلى النقل المصدق، والنظر المحقق، وهذه المصادر يرجع إليها التفسير كما يرجع إليها الفقه أشار إليها الشافعي، وقارن بينها، فروى عنه يونس: قَالَ الشَّافِعِيُّ: "الأَصْلُ قُرْآنٌ أَوْ سُنَّةٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَقِيَاسٌ عَلَيْهِمَا، وَإِذَا صَحَّ الحَدِيْثُ فَهُوَ سُنَّةٌ، وَالإِجْمَاعُ أَكْبَرُ مِنَ الحَدِيْثِ المُنْفَرِدِ، وَالحَدِيْثُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَإِذَا احتَمَلَ الحَدِيْثُ مَعَانِي، فَمَا أَشْبَهَ ظَاهِرَهُ، وَلَيْسَ المُنْقَطِعُ بِشَيْءٍ، مَا عَدَا مُنْقَطِعِ ابْنِ المُسَيِّبِ، وَكُلاًّ رَأَيْتُهُ اسْتَعْمَلَ الحَدِيْثَ المُنْفَرِدَ"(٤)، وقد يقال: إن كلامه هذا أشبه بأصول الفقه؛ إذ ذكر القياس، ولا علاقة له بالتفسير، وهذا اعتراضٌ وجيه، والجواب بأن يقال: هو يقعد حقاً لأصول الفقه، ولا ينفي هذا تقعيده لمصادر التفسير، وذلك للآتي:

١) من أنواع التفسير: التفسير الفقهي الذي لا بد من الإشارة إلى القياس فيه.

٢) الآيات التي يستدل بها على القياس هي آياتٌ قرآنية تقعد للقياس ليصبح محل قبول فأصله لا بد أن يرجع إلى التفسير.

ولنفصل الإشارة إلى مصادر التفسير عنده في المطالب الآتية:

---

(١) مصادر التفسير، بحث للدكتور مساعد بن سليمان الطيار منشور في شبكة التفسير والدراسات القرآنية .

(٢) مجموع الفتاوى١٣/١٩٥.

(٣) انظر: البرهان٢/١٥٦، الإتقان٦/٢٢٨٥، مناهل العرفان٢/ ٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء١٠/٢١.

الفرع الثاني: تفسير القرآن بالقرآن عند الشافعي:

حيث يعتمد كثيراً على تفسير القرآن بالقرآن مع ذكر تحليلٍ يسوِّغ سبب تفسيره لتلك الآية بهذه الآية، ويردُّ على الاعتراضات التي قد ترد فيها، ومن أمثلة ذلك مناقشته لعربية القرآن حيث نراه يفسر القرآن بالقرآن تأكيداً وتوضيحاً فهو يقول: "فإن قال قائلٌ: ما الحجة في أن كتاب الله محضٌ بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره؟ فالحجة فيه كتاب الله، قال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم:٤]، فإن قال قائلٌ: فإن الرسل قبل محمد كانوا يرسلون إلى قومهم خاصة وإن محمداً بعث إلى الناس كافة، فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة، ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه وما أطاقوا منه، ويحتمل أن يكون بعث بألسنتهم فهل من دليل على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون ألسنة العجم؟ فإن كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع، وأولى الناس بالفضل باللسان من لسانه لسان النبي ولا يجوز والله أعلم أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد بل كل لسانٍ تبعٌ للسانه، وكل أهل دينٍ قبله فعليهم اتباع دينه، وقد بين الله ذلك في غير آية من كتابه، قال الله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥] وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد:٣٧]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى:٧]، -قال الشافعي- فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها ثم أكد ذلك بأن نفى عنه جل ثناؤه كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه (١٦١) فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[النحل:١٠٣]، وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِي﴾ [فصلت:٤٤]"(١)، ويظهر هنا بيان القرآن بالقرآن حيث بين أن اللسان المذكور في قوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم:٤] هو العربية المحضة، ولذا استدل بالآيات الأخرى.

الفرع الثالث: تفسير القرآن بالسنة النبوية المشرفة:

جعل الشافعي السنة النبوية هي المفسرة للقرآن الكريم المبينة للمراد من آياته، وقد بين مكانة السنة من القرآن بأسلوبٍ تحليليٍ بديعٍ يندر أن يراه المرء عند المتأخرين عند ذكره لمعنى قوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] فقال: "نزلت هذه الآية فيما بلغنا والله أعلم في رجل خاصم الزبير في أرض فقضى النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- بها للزبير وهذا القضاء سنة من رسول الله لا حكم منصوص في القرآن والقرآن يدل والله أعلم على ما وصفت، لأنه لو كان قضاء بالقرآن كان حكماً منصوصاً بكتاب الله، وأشبه أن يكونوا إذا لم يسلموا لحكم كتاب الله نصاً غير مشكل الأمر: أنهم ليسوا بمؤمنين إذا ردوا حكم التنـــزيل إذا لم يسلموا له"(٢).

وقال مبيناً أن النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- يفسر القرآن بنورٍ من الله: "وشهد له جل ثناؤه باستمساكه بما أمره به والهُدى في نفسه وهداية من اتبعه، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ

(١) الرسالة١/٤٥.

(٢) المصدر السابق١/٨٣.

جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، وقال: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣]"(١)، وقال: "ما أنزل الله فيه نص كتاب فبين رسول الله مثل ما نص الكتاب"(٢).

من أمثلة تفسير القرآن بالسنة:

والأمثلة التفصيلية لذلك كثيرة، ومنها قوله في تفسير آية الوضوء: "دلت سنة رسول الله-ﷺ- على أنه إنما أريد بغسل القدمين أو مسحهما بعض المتوضئين دون بعض"(٣)، ثم ذكر متى يكون المسح أي على الخفين، ومتى يكون الغسل، وقال في تفسير آية الغنائم وذكر خمس ذوي القربى: "فلما أعطى رسول الله-ﷺ - بني هاشم وبني المطلب سهم ذي القربى دلت سنة رسول الله-ﷺ- أن ذا القربى الذين جعل الله لهم سهماً من الخمس بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم وكل قريش ذو قرابة وبنو عبد شمس مساوية بني المطلب في القرابة هم معاً بنو أب وأم"(٤).

نماذج لقواعد وضعها الشافعي في هذا المصدر:

وضع الشافعي-رحمه الله- قواعد لتفسير القرآن بالسنة، ومنها:

قاعدة: السنة لا تخالف الكتاب:

وقد أكد على هذا المعنى عدة مرات كقوله: "ويعلمون أن اتباع أمره طاعة الله، وأن سنته تبعٌ لكتاب الله فيما أنزل، وأنها لا تخالف كتاب الله أبداً"(٥).

واستقى هذا الزركشي الشافعي من بعد فقال: "اعلم أن القرآن والحديث أبداً متعاضدان على استيفاء الحق وإخراجه من مدارج الحكمة، حتى إن كل واحد منهما يخصص عموم الآخر ويبين إجماله، ثم منه ما هو ظاهر، ومنه ما يغمُض، وقد اعتنى بإفراد ذلك بالتصنيف: الإمام أبو الحكم ابن برجان في كتابه المسمى بـــ:(الإرشاد) وقال: ما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شيء فهو في القرآن، وفيه أصله قَرُبَ أو بَعُدَ، فَهِمَهُ مَنْ فَهِمَه، وعَمِهَ عنه من عَمِه(٦)، قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨] ألا تسمع إلى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الرجم: "لأقضين بينكما بكتاب الله" وليس في نص كتاب الله الرجم"(٧).

تفسير القرآن بالسيرة النبوية كجزء من السنة:

فالبعد التاريخي لا بد أن يكون حاضراً عند المفسر ليفهم ملابسات نزول بعض الآيات، وصيغها، ويتم بيان خلفية ذلك، وقد لوحظ ذلك في الشافعي على هيئةٍ لم نجدها فيمن بعده من المفسرين، فمن ذلك تحليله المتين للخلفية التي نزل

---

(١) المصدر السابق١/٨٦.

(٢) المصدر السابق١/٩١.

(٣) المصدر السابق١/٦٦.

(٤) المصدر السابق١/٦٨.

(٥) المصدر السابق١/١٤٦، وانظر مثلاً: ١/١٩٨، ٣/٥٤٦.

(٦) عمه من العمه، وفي معناه قال صاحب التحرير والتنوير١/٢٩٦: "وَالْعَمَهُ انْطِمَاسُ الْبَصِيرَةِ وَتَحَيُّرُ الرَّأْيِ وَفِعْلُهُ عَمِهَ فَهُوَ عَامِهٌ وَأَعْمَهُ"، ومنه قوله تعالى{وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة: ١٥].

(٧) البرهان في علوم القرآن٢/١٢٩.

بسببها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، ولنستمع إلى الشافعي يتكلم عن الخلفية التاريخية لذلك فيقول: "لأن كل من كان حول مكة من العرب لم يكن يعرف إمارة وكانت تأنف أن يعطي بعضها بعضاً طاعة الإمارة فلما دانت لرسول الله بالطاعة لم تكن ترى ذلك يصلح لغير رسول الله، فأمروا أن أطيعوا أولي الأمر الذين أمرهم رسول الله، لا طاعة مطلقة، بل طاعة مستثناة فيما لهم وعليهم، فقال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّه﴾ يعني إن اختلفتم في شيء . وهذا إن شاء الله كما قال في أولي الأمر إلا أنه يقول: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ يعني والله أعلم هم وأمراؤهم الذين أمروا بطاعتهم، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يعني والله اعلم إلى ما قال الله والرسول إن عرفتموه فإن لم تعرفوه سألتم الرسول عنه إذا وصلتم أو من وصل منكم إليه؛ لأن ذلك الفرض الذي لا منازعة لكم فيه لقول الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]، ومن يتنازع ممن بعد رسول الله رد الأمر إلى قضاء الله ثم قضاء رسوله، فإن لم يكن فيما تنازعوا فيه قضاء نصاً فيهما ولا في واحد منهما: ردوه قياساً على أحدهما"(١).

الفرع الرابع: تفسير القرآن بأقوال الصحابة ﷺ:

والشافعي يعتمد عليها اعتماد تبجيل وتفضيل لا اعتماد قطعٍ في التأويل، حيث ينص على: "اتباع قول واحد إذا لم أجد كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً ولا شيئاً في معناه يحكم له بحكمه أو وجد معه قياس، وقلَّ ما يوجد من قول الواحد منهم لا يخالفه غيره من هذا"(٢)، ولكنه ذكر مشاهدتهم للوحي، ومعرفتهم فقال فيما أسنده البيهقي عنه: "وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله، وهنأهم بما أتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، فهم أدوا إلينا سُنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشاهدوه والوحي يترل عليه ، فعلموا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم عاماً وخاصاً وعزماً وإرشاداً ، وعرفوا من سُنّته ما عرفنا وجهلنا ، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد ، وورع وعقل ، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا"(٣)، وأما الدليل على أنه لم يجعل هذا المصدر مصدر قطع في التأويل فهو عدم ذكره له في المصادر التي ذكر وجوب الاعتماد عليها عندما أجملها كما في المطلب الأول، ولكلامه المذكور في أول هذا المطلب.

الفرع الخامس: من المصادر التي اعتمدها في التفسير: العربية:

حجيته اللغوية في نظر المحققين:

يحكي يونس بن عبد الأعلى عن مدى التمكن اللغوي للشافعي فيقول: مَا كَانَ الشَّافِعِيُّ إِلاَّ سَاحِراً، مَا كُنَّا نَدْرِي مَا يَقُوْلُ إِذَا قَعَدْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ أَلفَاظَهُ سُكَّرٌ، وَكَانَ قَدْ أُوتِيَ عُذُوبَةَ مَنْطِقٍ، وَحُسْنَ بَلاغَةٍ، وَفَرْطَ ذَكَاءٍ، وَسَيَلاَنَ ذِهْنٍ، وَكَمَالَ

(١) الرسالة١/٨٠.

(٢) المصدر السابق٣/٥٩٨.

(٣) مناقب الشافعي١/٤٤٢.

فَصَاحَةٍ، وَحُضُوْرَ حُجَّةٍ(١)، ويبين ثعلب مدى حجيته اللغوية فيقول: الشَّافِعِيُّ إِمَامٌ فِي اللُّغَةِ(٢)، ويبين الربيع أن ثمة اختلافاً بين لغة التأليف عنده ولغة الدرس فيقول: لَوْ رَأَيْتَ الشَّافِعِيَّ وَحُسْنَ بَيَانِهِ، وَفصَاحتِهِ، لَعَجِبْتَ، وَلَوْ أَنَّهُ أَلَّفَ هَذِهِ الكُتُبَ عَلَى عَرَبِيَّتِهِ الَّتِي كَانَ يَتَكَلَّمُ بِهَا مَعَنَا فِي المَنَاظَرَةِ، لَمْ نَقْدِرْ عَلَى قِرَاءةِ كُتُبِهِ لِفَصَاحتِهِ وَغَرَائِبِ أَلفَاظِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ فِي تَأْلِيفِهِ يُوَضِحُ لِلْعَوَامِّ(٣).

وقد كتبت أطروحة دكتوراه بعنوان: لغة الإمام الشافعيّ في مؤلفاته، تقدّم بها الباحث: نافع سلمان جاسم إلى مجلس كلية التربية جامعة بغداد، ونوقشت في عام ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م.

ومن الفرائد التي استخدمها في كلامه واحتج به فيها من جاء بعده أن ابن جرير الطبري نقل في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة:٤] عدداً من الأقوال في معناها، ومنها قول بعضهم: "هو أن يَسْتَشْلِي لطلب الصيد إذا أرسله صاحبه"(٤)، ولما خشي الشيخ أحمد شاكر الانتقاد عليه لغوياً باستخدامه هذه الكلمة علق على ذلك مستدلاً بالشافعي على صحة هذه اللغة فقال: "يستشلي: بالبناء للمعلوم، أراد به هنا: أن يغري بطلب الصيد. وقد ذكر أهل اللغة: "أشلى الكلب واستشلاه" إذا دعاه باسمه، وقد أنكر ثعلب أن"أشلى الكلب" بمعنى أغراه بالصيد، وأجازه غيره. ومن أجازه فقد أصاب، وقد قال الشافعي "الكلب المعّلم: الذي إذَا أُشْلِى اسْتَشْلَى"(٥)، فاستعمل"استشلى" مطاوعًا لقوله: "أشلى الكلب" بمعنى: أغراه بالصيد. ثم عاد الشافعي فاستعمل"استشلى الكلب" بمعنى: "أشلى الكلب" غير مطاوع، فقال "وتعليمُ الطائر كلِّه واحد، البازي والصقر والشاهين والعقاب وغيرها: وهو أن يجمع أن يُدْعَى فيجيب، ويُسْتَشْلَى فيطير"(٦)، ثم عاد فاستعمل"استشلى" بالمعنيين جميعًا، مطاوعًا وغير مطاوع، في جملة طويلة في الأم أثبت بعضها: "...وإذا اسْتَشْلَى الرجُل كلبه على الصَّيْد قريبًا كان منه أو بعيدًا فانزجَرَ واسْتَشْلَى باستشلائه..."(٧)، فصح بذلك ما استعمله أبو جعفر، هذا بخلاف ما جاء في الشعر، مما يسقط اعتراض ثعلب على"أشلى" بمعنى: أغرى"(٨).

تنبيهه إلى ضرورة إعمال قواعد العربية في فهم القرآن الكريم:

يقول الشافعي في هذا: "وَمِنْ جِمَاعِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْعِلْمُ بِأَنَّ جَمِيعَ كِتَابِ اللَّهِ إِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَالْمَعْرِفَةُ بِنَاسِخِ كِتَابِ اللَّهِ وَمَنْسُوخِهِ وَالْفَرْضِ فِي تَنْزِيلِهِ، وَالأَدَبِ وَالْإِرْشَادِ وَالْإِبَاحَةِ، وَالْمَعْرِفَةُ بِالْوَضْعِ الَّذِي وَضَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْإِبَانَةِ عَنْهُ فِيمَا أَحْكَمَ فَرْضَهُ فِي كِتَابِهِ وَبَيَّنَهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَرَادَ بِجَمِيعِ، فَرَائِضِهِ أَأَرَادَ كُلَّ خَلْقِهِ، أَمْ بَعْضَهُمْ دُونَ بَعْضٍ ؟ -إلى قوله- وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى أَنْ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا بِلِسَانِ الْعَرَبِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]. وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]. وَقَالَ

---

(١) سير أعلام النبلاء١٠/٤٨.

(٢) المصدر السابق١٠/٧٣، وذكره نحوه البيهقي عن ابن هشام –صاحب المغازي–في مناقب الشافعي٢/٤٣.

(٣) المصدر السابق١٠/٧٤.

(٤) الطبري ٩/٥٥٣.

(٥) الأم٣/٥٩١.

(٦) المصدر السابق٣/٥٩٢.

(٧) المصدر السابق٣/٥٩٦.

(٨) تعليق أحمد شاكر في هامش جامع البيان ٩/٥٥٣.

تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى:٧]. فَأَقَامَ حُجَّتَهُ بِأَنَّ كِتَابَهُ عَرَبِيٌّ، ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِأَنْ نَفَى عَنْهُ كُلَّ لِسَانٍ غَيْرَ لِسَانِ الْعَرَب، فِي آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيّ﴾ [فصلت:٤٤]"(١).

ويضرب أمثلة على ضرورة مراعاة تصرف العرب في لغتهم مما ينبغي أن ينتبه له، ويهتم به فيقول: "ورسول الله عربي اللسان والدار، فقد يقول القول عاما يريد به العام وعاما يريد به الخاص كما وصفت لك في كتاب الله وسنن رسول الله قبل هذا. ويسأل عن الشيء فيجيب على قدر المسألة ويؤدي عنه المخبر عنه الخبر متقصي والخبر مختصراً والخبر فيأتي ببعض معناه دون بعض. ويحدث عنه الرجل الحديث قد أدرك جوابه ولم يدرك المسألة فيدله على حقيقة الجواب بمعرفته السبب الذي يخرج عليه الجواب"(٢)، وقال: "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره، وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله، وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرف الإشارة ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها، وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة، وكانت هذه الوجوه التي وصفت اجتماعها في معرفة أهل العلم منها به وإن اختلفت أسباب معرفتها معرفة واضحة"(٣).

تميزه بذكر معانٍ للألفاظ القرآنية أغفلها كثيرٌ من المفسرين:

اتسم الشافعي بالتحقيق الدقيق في علم اللغة حداً جعله يتفرد بذكر معانٍ أغفلها كثير من المفسرين بعده؛ فمعرفته للغة جعلته يَقدُم على ذكر معانٍ للكلمات القرآنية على نحوٍ فريدٍ، ولم يصب من حاول تعقبه من بعده لشدة تأصله في اللغة، ومن أشهر المعاني القرآنية التي أشار إليها وتعقبها من جاء بعده ما ذكره في معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا ﴾[النساء:٣]، حيث قال: "وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء:٣] أَنْ لاَ يَكْثُرَ من تَعُولُونَ إذَا اقْتَصَرَ الْمَرْءُ على وَاحِدَةٍ وَإِنْ أَبَاحَ له أَكْثَرَ منها"(٤)، قال الثعلبي: "وما قال هذا أحد غيره...قال أبو حاتم: كان (الشافعي) أعلم بلغة العرب منّا ولعله لغة.

قال الثعلبي: قال أستاذنا أبو القاسم بن حبيب: سألت أبا عمرو الدوري عن هذا وكان إماماً في اللغة غير مدافع فقال: هي لغة حمير، وأنشد:

وإنّ الموت يأخذ كل حيّ بلا شك وإن أمشى وعالا

---

(١) أحكام القرآن ٢٢/١، وانظر: الرسالة٤٦/١.

(٢) الرسالة٢١٣/٢.

(٣) المصدر السابق٥١/٢.

(٤) الأم٢٧٥/٦.

أي كثرت ماشيته وعياله"(١)، وتعقب الشافعي عددٌ من المفسرين ممن جاء بعده، و لم يصيبوا، وقد رد عليهم عدد من المحققين منهم الثعلبي والفخر الرازي والقرطبي(٢).

من أهم قواعد العربية الدقيقة التي وضعها ليتم وزن فهم الإنسان للقرآن قوله:

"ولِسَانُ الْعَرَبِ أَوْسَعُ الْأَلْسِنَةِ مَذْهَبًا، وَأَكْثَرُهَا أَلْفَاظًا، وَلَا نَعْلمه يُحِيطُ بِجَمِيعِ عِلْمِهِ إنْسَانٌ غَيْرُ نَبِيٍّ. وَلَكِنَّهُ لَا يَذْهَبُ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى عَامَّتها، حتى لا يَكونَ موجوداً فيها مَنْ يَعرفه. والعلمُ به عند العرب كَالْعِلْمِ بِالسُّنَّةِ عِنْدَ أَهْلِ الْفِقْهِ لَا نَعْلَمُ رَجُلًا جَمَعَ السنن ، فَلَمْ يَذْهَبْ مِنْهَا عَلَيْهِ شَيْءٌ "(٣).

دعوته المسلمين من غير العرب إلى تعلم لسان العرب:

حيث جعل على كل مسلمٍ تعلم العربية ما بلغه جهده ليتسنى له معرفة كتاب الله مباشرة، وهذا يقتضي أن يكون ضمن المقررات التلقائية في مناهج الدول الإسلامية: "فعلى كل مسلمٍ أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك، وما ازداد من العلم باللسان الذي جعل الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيرا له كما عليه يتعلم الصلاة والذكر فيها ويأتي البيت وما أمر بإتيانه ويتوجه لما وجه له ويكون تبعاً فيما افترض عليه وندب إليه لا متبوعا"(٤).

الشعر كمصدرٍ لمعاني الكلمات القرآنية عند الشافعي:

ظهرت عبقرية الشافعي في استدلاله بالشعر لبيان المعنى القرآني، ومقدار الحافظة التي آتاه الله إياها في هذا الباب، فقد قَالَ الأَصْمَعِيُّ: أَخَذْتُ شِعْرَ هُذَيْلٍ عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ بنُ بكَّارٍ: أَخَذْتُ شِعْرَ هُذَيْلٍ وَوقَائِعهَا عَنْ عَمِّي مُصْعَبِ بنِ عَبْدِ اللهِ، وَقَالَ: أَخَذْتُهَا مِنَ الشَّافِعِيِّ حِفْظاً(٥)، وقال محمد بن عبد الله بن الحكم: "كان أعلم بكل فن لو كنت أدركته وأنا رجل كامل لاستخرجت من جنبيه علوماً جمة ولقد رأيت عنده أشعار هذيل وما كنت أذكر له قصيدة إلا ربما أنشدنيها من أولها إلى آخرها على أنه مات وهو ابن أربع وخمسين سنة"(٦)، وجاء عنه أيضاً قوله: "ما رأينا مثل الشافعي، كان أصحاب الحديث ونقاده يجيئون إليه فيعرضون عليه، فربما أعل نقد النقاد منهم، ويوقفهم على غوامض من علل الحديث لم يقفوا عليها، فيقومون وهم متعجبون منه، ويأتيه أصحاب الفقه المخالفون والموافقون فلا يقومون إلا وهم مذعنون له بالحذق والديانة، ويجيئه أصحاب الأدب فيقرؤون عليه الشعر فيفسره، ولقد كان يحفظ عشرة آلاف بيت شعر من أشعار هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها، وكان من أحفظ الناس للتاريخ، وكان يعينه على ذلك شيئان: نور عقل، وصحة دين، وكان ملاك أمره إخلاص العمل لله عز وجل"(٧).

---

(١) الكشف والبيان٣/٢٤٨.

(٢) انظر: الكشف والبيان٣/٢٤٨، مفاتيح الغيب٩/١٨٤، القرطبي٥/٢١، فتح القدير١/٦٧٩.

(٣) الرسالة ١/٤٢. وانظر: أحكام القرآن١/٢٣.

(٤) الرسالة١/٤٨.

(٥) سير أعلام النبلاء١٠/٤٩.

(٦) حلية الأولياء٩/١٠٤، وانظر: ديوان الشافعي ص١٤.

(٧) الأربعين على الطبقات لعلي بن المفضل المقدسي(رسالة علمية) ص١٨٢، مناقب الإمام الشافعي للرازي ص٦٤.

وقد أصدر الدكتور مجاهد مصطفى بهجت الأستاذ بجامعة بغداد والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ديوان الإمام الشافعي بتحقيق جديد معتمداً على المخطوطات والإصدارات السابقة، وبذل جهداً كبيراً في الجمع والتحقيق والدراسة.

أمثلة على استدلاله بالشعر لبيان المعاني القرآنية:

في استدلاله على معنى اللمس الوارد في قوله تعالى: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاء﴾ [النساء:٤٣] يستدل بقول الشاعر:

وألمست كَفِّي كَفَّهُ أَطْلُبُ الْغِنَى ... و لم أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ من كَفِّهِ يُعْدِي

فَلاَ أنا منه ما أَفَادَ ذَوُو الْغِـــــنَى ... أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَبَذَّرْتُ ما عِنْدِي(١)

وفي قوله تعالى: ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَام﴾ [البقرة: ١٤٤] قال: "وَشَطْرُهُ: جِهَتُهُ؛ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. إِذَا قُلْتَ: أَقْصِدُ شَطْرَ كَذَا مَعْرُوفٌ أَنَّكَ تَقُولُ: أَقْصِدُ قَصْدَ عَيْنِ كَذَا يَعْنِي: قَصْدَ نَفْسِ كَذَا وَكَذَلِكَ: تِلْقَاءَهُ وَجِهَتَهُ أَيْ أَسْتَقْبِلُ تِلْقَاءَهُ وَجِهَتَهُ. وَكُلُّهَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ: وَإِنْ كَانَتْ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ" ثم ذكر أبياتاً نادرة في الرواية الشعرية العربية كقول خُفَافُ بْنُ نُدْبَةَ:

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عَمْرًا رَسُولاً ... وَمَا تُغْنِي الرِّسَالَةُ شَطْرَ عَمْرِو

وَقَالَ سَاعِدَةُ بْنُ جُؤْبَةَ:

أَقُولُ لِأُمِّ زِنْبَاعٍ أَقِيمِي ... صُدُورَ الْعِيسِ شَطْرَ بَنِي تَمِيمِ

وَقَالَ لَقِيطٌ الْإِيَادِيُّ:

وَقَدْ أَظَلَّكُمْ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمُ ... هَوْلٌ لَهُ ظُلَمٌ تَغْشَاكُمُ قِطَعا

ثم قال: " وَهَذَا كُلُّهُ مَعَ غَيْرِهِ مِنْ أَشْعَارِهِمْ يُبَيِّنُ: أَنَّ شَطْرَ الشَّيْءِ: قَصْدُ عَيْنِ الشَّيْءِ إِذَا كَانَ مُعَايَنًا فَبِالصَّوَابِ وَإِنْ كَانَ مُغَيَّبًا: فَبِالِاجْتِهَادِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ أَكْثَرُ مَا يُمْكِنُهُ فِيهِ"(٢).

والعجيب هنا أنه ندر من أورد البيت المذكور للقيط الإيادي في قصيدته العينية الشهيرة.

انصباغ عباراته بالعربية القرآنية الجزلة المجيدة الرفيعة:

١) سواء أكان ذلك في استخدامه للألفاظ القرآنية لتكون مصطلحات عنده كما في استخدامه لكلمة النبز في قوله: "ونصبوا بأيديهم حجارة وخشباً وصوراً استحسنوها، ونبزوا أسماء افتعلوها، ودعوها آلهة عبدوها"(٣).

٢) أم في استخدامه للتراكيب اللفظية القرآنية كاستخدامه للضمير في قوله: "وإمساك عن محارم حماهموها"(٤)، وهو هنا يذكر بالتركيب العربي الذي يكاد ينسى في قول الله:﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [هود:٢٨].

٣) أم في نسجه على غرار الأسلوب القرآني: ومن ذلك قوله: "ووعظهم بالإخبار عمن كان قبلهم ممن كان أكثر منهم أموالاً وأولاداً وأطول أعماراً وأحمد آثاراً فاستمتعوا بخلاقهم في حياة دنياهم فأذاقهم عند نزول قضائه مناياهم دون آمالهم ونزلت بهم عقوبته عند انقضاء آجالهم ليعتبوا في أنف الأوان ويتفهموا بجلية التبيان ويتنبهوا قبل رين الغفلة ويعملوا قبل انقطاع المدة حين لا يُعتَبُ مذنب ولا تُؤْخَذُ فدية و ﴿ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ

(١) الأم٢/٣٨.

(٢) أحكام القرآن١/٦٨.

(٣) الرسالة١/١٠.

(٤) المصدر السابق١/١٧.

لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران:٣٠]"(١)، ومن ذلك قوله: "وَهُوَ يُحِبُّ: لَوْ قَضَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِاسْتِقْبَالِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ؛ لِأَنَّ فِيهِ مَقَامُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ وَهُوَ: الْمَثَابَةُ لِلنَّاسِ وَالْأَمْنُ، وَإِلَيْهِ الْحَجُّ، وَهُوَ الْمَأْمُورُ بِهِ أَنْ يُطَهَّرَ لِلطَّائِفِينَ، وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"(٢).

ولجمال عربية الشافعي، وظهور لغة القرآن فيه ذكره الذاكرون بعده فقال الربيع: كنا جلوساً في حلقة الشافعي بعد موته بيسير فوقف علينا أعرابي وقال أين قمر هذه الحلقة وشمسها؟ قلنا توفي فبكى بكاء شديداً وقال رحمه الله وغفر له: فلقد كان يفتح ببيانه مغلق الحجة، ويسد على خصمه واضح المحجة، ويغسل من العار وجوهاً مسودة، ويوسع بالرأي أبواباً منسدة ثم انصرف(٣).

الفرع السادس: التفسير بالاجتهاد مع بيان حجة الاجتهاد:

فهو يُعمِل العقل المستند على النقل، والرأي القائم على المأثور، فقد قال وهو يقعد لأصحابه ذلك: "كل ما قلت لكم، فلم تشهد عليه عقولكم، وتقبله، وتراه حقا؛ فلا تقبلوه فإن العقول مضطرةٌ إلى قبول الحق"(٤)، ومن أمثلة ذلك في التفسير قوله: ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[الأحزاب:٣٤] حيث قال: "فذكر الله الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول الحكمة سنة رسول الله، وهذا يشبه ما قال –والله أعلم–، لأن القرآن ذكر، وأتبعته الحكمة، وذكر الله منه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة فلم يجز –والله أعلم– أن يقال الحكمة ها هنا إلا سنة رسول الله، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله، وحتمٌ على الناس اتباع أمره فلا يجوز أن يقال لقول: فرض إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله"(٥)، فقد اجتهد هنا في بيان معنى الحكمة بناء على المصادر الأخرى لا بمحض الرأي والهوى.

ومن ذلك ما ورد عنه فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، حيث اجتهد في بيان معنى (مشهوداً) هنا فقال: "فَلَمْ يَذْكُرْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَشْهُودًا غَيْرُهُ، وَالصَّلَوَاتُ مَشْهُودَاتٌ، فَأَشْبَهَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ مَشْهُودًا بِأَكْثَرَ مِمَّا تشْهَدُ بِهِ الصَّلَوَاتُ، أَوْ أَفْضَلُ، أَوْ مَشْهُودًا بِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ، يُرِيدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ"(٦).

ومن أمثلة ذلك مما جمع فيه بين المصادر الأصلية واجتهد في الوصول إلى المعنى القرآني فيه ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [البقرة:٢٣٥] حيث قال: "وَالتَّصْرِيحُ خِلَافُ التَّعْرِيضِ وَتَصْرِيحٌ بِجِمَاعٍ، وَهَذَا كَأَقْبَحِ التَّصْرِيحِ. فَإِنْ قال قَائِلٌ: ما دَلَّ على أَنَّ السِّرَّ الْجِمَاعُ؟ قِيلَ: فَالْقُرْآنُ كَالدَّلِيلِ عليه إذَا أَبَاحَ التَّعْرِيضَ، والتعريض عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ جَائِزٌ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فإذا كان هذا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُتَوَهَّمَ أَنَّ السِّرَّ سِرُّ التَّعْرِيضِ وَلَا بُدَّ من مَعْنًى غَيْرِهِ وَذَلِكَ الْمَعْنَى الْجِمَاعُ، وقال امْرُؤُ الْقَيْسِ:

أَلَا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ الْقَوْمِ أَنَّنِي ... كَبِرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنَ السِّرَّ أَمْثَالِي

كَذَبْتِ لقد أُصْبِي على الْمَرْءِ عِرْسَهُ ... وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزَنَّ بها الْخَالِي

---

(١) المصدر السابق١/١٨.

(٢) أحكام القرآن ١/٦٤.

(٣) الوافي بالوفيات ٢/١٢٤.

(٤) حلية الأولياء ٩/١٢٤.

(٥) الرسالة ١/٧٨.

(٦) أحكام القرآن١/٦١.

وقال جَرِيرٌ يَرْثِي امْرَأَتَهُ:

كانت إذَا هَجَرَ الْحلِيلُ فِرَاشَهَا خُزِنَ الحديثُ وَعَفَّتْ الأسرارا.

قَالَ الشّافعيُّ: فإذا عَلِمَ أَنَّ حَدِيثَهَا مَخْزُونٌ فَخُزْنُ الحديث أَنْ لاَ يُبَاحَ بِهِ سِرًّا وَلاَ عَلاَنِيَةً فإذا وَصَفَهَا فَلاَ مَعْنَى لِلْعَفَافِ غير الإِسْرَارِ، وَالإِسْرَارُ: الْجِمَاعُ"(١).

من الاجتهاد: عدم الانسياق وراء الحقيقة اللغوية بإطلاق:

فإن الحقيقة القرآنية (الشرعية) عنده قد تباين الحقيقة اللغوية تخصيصاً وتعميماً، وهذا يقتضي منه اجتهاداً وإعمالاً للمصادر المختلفة للوصول إلى الحقيقة القرآنية (الشرعية)، ومن ذلك كلامه في معنى آل النبي-صلى الله عليه وآله وسلم-، ووصوله إلى وضع حقيقة قرآنية لهذا المفهوم في ضوء الكتاب والسنة، ومن كلامه هنا: " وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: آلُ مُحَمَّدٍ أَهْلُ دِينِ مُحَمَّدٍ. وَمَنْ ذَهَبَ هَذَا الْمَذْهَبَ، أَشْبَهَ أَنْ يَقُولَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنُوحٍ: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ [هود:٤٠] وَحَكَى [فَقَالَ]: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ(٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ [هود: ٤٥-٤٦]﴾ الْآيَةُ [فَأَخْرَجَهُ بِالشِّرْكِ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ نُوحٍ]. قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَالَّذِي نَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي مَعْنَى [هَذِهِ] الْآيَةِ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود:٤٦]يَعْنِي الَّذِينَ أَمَرْنَا[ك] بِحَمْلِهِمْ مَعَكَ (فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ): وَمَا دَلَّ عَلَى مَا وَصَفْتُ ؟ (قِيلَ): قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود: ٤٠]؛ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ أَمَرَهُ بِأَنْ يَحْمِلَ مِنْ أَهْلِهِ، مَنْ لَمْ يَسْبِقْ عَلَيْهِ الْقَوْلُ: أَنَّهُ أَهْلُ مَعْصِيَةٍ، ثُمَّ بَيَّنَ لَهُ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود:٤٦]. قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَقَالَ قَائِلٌ: آلُ مُحَمَّدٍ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ- فَكَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الرَّجُلَ يُقَالُ لَهُ أَلَكَ أَهْلٌ ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَإِنَّمَا يَعْنِي لَيْسَتْ لِي زَوْجَةٌ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَهَذَا مَعْنًى يَحْتَمِلُهُ اللِّسَانُ، وَلَكِنَّهُ مَعْنًى كَلَامٍ لَا يُعْرَفُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ سَبَبُ كَلَامٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ. وَذَلِكَ أَنْ يُقَالَ لِلرَّجُلِ: تَزَوَّجْتَ؟ فَيَقُولُ: مَا تَأَهَّلْتُ؛ فَيُعْرَفُ بِأَوَّلِ الْكَلَامِ أَنَّهُ أَرَادَ: تَزَوَّجْتَ أَوْ يَقُولُ الرَّجُلُ: أَجْنَبْتُ مِنْ أَهْلِي، فَيُعْرَفُ أَنَّ الْجَنَابَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنْ الزَّوْجَةِ . فَأَمَّا أَنْ يَبْدَأَ الرَّجُلُ، فَيَقُول: أَهْلِي بِبَلَدِ كَذَا، أَوْ أَنَا أَزُورُ أَهْلِي وَأَنَا عَزِيزُ الْأَهْلِ، وَأَنَا كَرِيمُ الْأَهْلِ فَإِنَّمَا يَذْهَبُ النَّاسُ فِي هَذَا إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ. وَذَهَبَ ذَاهِبُونَ إِلَى أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-: قَرَابَةُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-: الَّتِي يَنْفَرِدُ بِهَا؛ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ قَرَابَتِهِ. قَالَ الشَّافِعِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ): وَإِذَا عُدَّ [مِنْ] آلِ الرَّجُلِ: وَلَدُهُ الَّذِينَ إِلَيْهِ نَسَبُهُمْ وَمَنْ يَأْوِيه بَيْتُهُ مِنْ زَوْجِهِ أَوْ مَمْلُوكِهِ أَوْ مَوْلًى أَوْ أَحَدٍ ضَمَّهُ عِيَالُهُ وَكَانَ هَذَا فِي بَعْضِ قَرَابَتِهِ مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ، دُونَ قَرَابَتِهِ مِنْ قِبَلِ أُمِّهِ وَكَانَ يَجْمَعُهُ قَرَابَةٌ فِي بَعْضِ قَرَابَتِهِ مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ، دُونَ بَعْضٍ. فَلَمْ يَجُزْ أَنْ يُسْتَعْمَلَ عَلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) مِنْ هَذَا، ثُمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-: إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ وَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْنَا الصَّدَقَةَ وَعَوَّضَنَا مِنْهَا الْخُمْسَ دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ: الَّذِينَ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الصَّدَقَةَ وَعَوَّضَهُمْ مِنْهَا الْخُمْسَ. وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ [الأنفال:٤١]. فَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ))(٢)، وَكَانَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُوجَدَ أَمْرٌ يَقْطَعُ الْعَنَتَ وَيَلْزَمُ أَهْلَ الْعِلْمِ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ) إِلَّا

---

(١) الأم٦/٤١٠.

(٢) حديث: ((إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ وَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلاَ لآلِ مُحَمَّدٍ)) رواه مسلم ٢/٧٥٤.

الْخَبَر عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-، فَلَمَّا، فَرَضَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-: أَنْ يُؤْتِيَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى، فَأَعْطَى سَهْمَ ذِي الْقُرْبَى، فِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ: دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ أَعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ- الْخُمْسَ، هُمْ: آلْ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ- بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ مَعَهُ وَالَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ مِنْ خَلْقِهِ، بَعْد نَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ- فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، فَاعْلَمْ: أَنَّهُ اصْطَفَى الْأَنْبِيَاءَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) [وَآلِهِمْ]"(١).

فخلاصة أمر هذا المصدر أنه نظر الشافعي وإعمال عقله بناء على المصادر الأخرى فهو النظر المحقق للنقل المدقق، وهذا النظر ذكره عنه نفسه في قوله-رَحِمَهُ اللهُ-:

إِذَا الْمُشْكِلاَتُ تَصَدَّيْنَنِي * كَشَــفْتُ حَقَائِقَهَا بِالنَّظَر
وَلَسْتُ بِإِمَّعَةٍ فِي الرِّجَالِ * أُسَائِــلُ هَذَا وَذَا مَا الخَبَر؟
وَلَكِنَّنِي مِدْرَهُ الأَصْغَرَيْــ * ــنِ فَتَّاحُ خَيْرٍ، وَفَرَّاجُ شَرِّ(٢)

المطلب الرابع: نماذج تفصيلية لمعالم التجديد والنبوغ عند الإمام الشافعي في التفسير

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: عبقرية الإمام الشافعي في المزج بين أصول الفقه وأصول التفسير.

الفرع الثاني: تحديده لمحاور القرآن الكريم، ومقاصده.

الفرع الثالث: من أنواع الطرق التي يستخدمها الشافعي في التفسير.

الفرع الرابع: نماذج للقواعد التفسيرية الدقيقة التي استعملها لفهم القرآن الكريم.

الفرع الأول: عبقرية الإمام الشافعي في المزج بين أصول الفقه وأصول التفسير:

إذا جعلنا قواعد أصول الفقه متعلقة بالأحكام فإن قواعد أصول التفسير تشملها كما تشمل الأخبار المحضة التي ليس فيها أحكام، وتفسير الشافعي المبثوث في كتبه، وفي كتاب أحكام القرآن الكريم ليس سرداً لكل حكمٍ جزئي فقهيٍ استنبط من آيةٍ قرآنية فقط، بل يبين باستيعابٍ بليغٍ كيفية الاستدلال على معالم أصول الفقه من القرآن الكريم، وكيفية تطبيق ذلك في الفروع الفقهية، في الوقت الذي يعطي النواة النظرية والتطبيقية الأولى لأصول التفسير باعتبار أن استنباط الأحكام من القرآن الكريم مظهرٌ من مظاهر التفسير استقل لاحقاً باسم آيات الأحكام أو أحكام القرآن الكريم.

ومن أمثلة هذا المزج مما ظهر فيه كلامه على تنــزيل القواعد الأصولية على الأخبار والأحكام القرآنية في باب العموم والخصوص قوله:

---

(١) أحكام القرآن١/٧٤.

(٢) سير أعلام النبلاء١٠/٥٠.

"قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ تَعَالَى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام:١٠٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] الْآيَةَ . فَهَذَا عَامٌّ لَا خَاصَّ فِيهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ وَذِي رُوحٍ وَشَجَرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَاللَّهُ خَالِقُهُ. وَكُلُّ دَابَّةٍ فَعَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٣-١٨٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَبَيَّنَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَنَّ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْعُمُومَ وَالْخُصُوصَ، فَأَمَّا الْعُمُومُ مِنْهَا، فَفِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات:١٣] فَكُلُّ نَفْسٍ خُوطِبَ بِهَذَا فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبْلَهُ وَبَعْدَهُ مَخْلُوقَةٌ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَكُلُّهَا شُعُوبٌ وَقَبَائِلُ . وَالْخَاصُّ مِنْهَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] لِأَنَّ التَّقْوَى إِنَّمَا تَكُونُ عَلَى مَنْ عَقَلَهَا وَكَانَ مِنْ أَهْلِهَا مِنْ الْبَالِغِينَ مِنْ بَنِي آدَمَ دُونَ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ الدَّوَابِّ سِوَاهُمْ وَدُونَ الْمَغْلُوبِ عَلَى عُقُولِهِمْ مِنْهُمْ، وَالْأَطْفَالُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا عَقْلَ التَّقْوَى مِنْهُمْ. فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالتَّقْوَى وَخِلَافِهَا إِلَّا مَنْ عَقَلَهَا وَكَانَ مِنْ أَهْلِهَا أَوْ خَالَفَهَا، فَكَانَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا"(١).

ومن أمثلة ذلك في باب الأخبار التي لم تدخلها أحكام فقهية: "وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[البقرة:٢٤]، فَدَلَّ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا وَقُودُهَا بَعْضُ النَّاسِ؛ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]"(٢).

الفرع الثاني: تحديده لمحاور القرآن الكريم، ومقاصده:

هذا سبقٌ من الإمام لضرورة التفسير الإجمالي العام للقرآن الكريم؛ إذ ذلك مساعدٌ على استقاء الهداية من التفسير الجزئي بدلاً من الإغراق فيه، ولذا قسم بعض المحققين المتأخرين التفسير إلى: تفسير وسيلة: وهو الذي يتكلم فيه المفسرون على حل الألفاظ والجمل، والنكات البلاغية، والنقل الروائي المجرد، والحكم الفقهي المحض، وتفسير غاية: وهو الذي يستبين من خلاله اللمسات التربوية والتزكوية الفردية والجماعية الموصلة لارتباط العالم بالنور الإلهي "على وجه يجتذب الأرواح ويفتح القلوب ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدي الله"(٣)، ويعرف تفسير الغاية بربطه بالمقاصد الكلية التي يدور حولها القرآن، ومن المقاصد الكلية التي قرر الشافعي أن القرآن يدور حولها:

أولاً: دوران آيات القرآن حول هداية الإنسان في كل أحواله:

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤١-٤٢] قال الشافعي: "فَنَقَلَهُمْ بِهِ مِنْ الْكُفْرِ وَالْعَمَى إِلَى الضِّيَاءِ وَالْهُدَى، وَبَيَّنَ فِيهِ مَا أَحَلَّ لَنَا بِالتَّوْسِعَةِ عَلَى خَلْقِهِ وَمَا حَرَّمَ لِمَا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ [مِنْ] حَضِّهِمْ عَلَى الْكَفِّ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى"(٤).

---

(١) الرسالة١/٥٣، أحكام القرآن١/٢٣.

(٢) الرسالة١/٦٢، أحكام القرآن١/٢٥.

(٣) مناهل العرفان٢/ ٨ .

(٤) الرسالة١/١٧، أحكام القرآن١/٢٠.

ثانياً: انطلاقه من أصل الرحمة للعالمين في الرسالة الإسلامية:

حيث يقول: "فكل ما أنزل في كتابه -جل ثناؤه- رحمة وحجة، علمه من علمه، وجهله من جهله"(١).

ثالثاً: جعله كتاب الله تعالى هو المرجع في طلب الهداية لكل التفاصيل الإنسانية الدنيوية والأخروية:

فقد انطلق في تفسيره من كون القرآن مرجع أحكام الدنيا الدستورية والفقهية (القانونية) والنفسية والاجتماعية حيث يقول: "فليست تنـــزل بأحدٍ من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها. قال الله تبارك وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]. وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]. وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]"(٢)، وبين أن معرفة ذلك في القرآن يتم بطريقين: مباشر (النص)، وغير مباشر (الاستدلال) حيث يقول: "فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصا واستدلالا، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريب ونورت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة"(٣)، وهذا الفهم استفاده أئمة الشافعية من إمامهم من بعد ولخصوه في نظرتهم الكلية لرجوع أحكام الدنيا والآخرة إلى القرآن الكريم فقالوا: "الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية على ما مر فهي إما أن تتعلق بأمر الآخرة وهي العبادات، أو بأمر الدنيا وهي إما أن تتعلق ببقاء الشخص وهي المعاملات، أو ببقاء النوع باعتبار المنـــزل وهي المناكحات، أو باعتبار المدنية وهي العقوبات وبهذا الاعتبار والترتيب جعل أصحاب الشافعي رحمه الله تعالى الفقه أربعة أركان"(٤).

ومما يدل على سعة استنباطه لمعاني الآيات حصره هذه الأحكام في القرآن الكريم في أربعة وجوه، ويظهر فيها تكييفه للعلاقة بين الكتاب والسنة، وضرورة الاجتهاد لمعرفة هدى الله في كل أمر حيث قال: "فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تعبدهم به لما مضى من حكمه جل ثناؤه من وجوه:

١) فمنها ما أبانه لخلقه نصا مثل جمل فرائضه في أن عليهم صلاة وزكاة وحجاً وصوماً وأنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ونص الزنا والخمر وأكل الميتة...

٢) ومنه ما أحكم فرضه بكتابه وبين كيف هو على لسان نبيه مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها وغير ذلك من فرائضه التي انزل من كتابه.

٣) ومنه ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس لله في نص حكم وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء إلى حكمه فمن قبل عن رسول الله فبفرض الله قبل.

٤) ومنه ما فرض الله على خلقه الاجتهاد في طلبه(٥).

---

(١) الرسالة١/١٩، أحكام القرآن ١/٢١.

(٢) الرسالة١/٢٠.

(٣) المصدر السابق١/١٩.

(٤) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه٢/٣٠١، وانظر: أبجد العلوم٢/٤٠١، وكشاف اصطلاحات الفنون١/ ٤١.

(٥) الرسالة١/٢١.

رابعاً: دوران القرآن حول الابتلاء عنده ومن ذلك الابتلاء بالاجتهاد:

يرى الشافعي أن الابتلاء أصل من أصول الخلقة الإنسانية، والاجتهاد بمعرفة الحكم في كل أمرٍ هو جزء من المراد الإلهي في البشرية مما يؤدي إلى التراكم المعرفي القائم على الاجتهاد، والبناء العلمي لمعرفة ماذا ربنا من عباده أراد،، وليتميز البعد الإيماني بالحركة الثقافية الدائبة الدائمة ولنستمع إلى الإمام الشافعي يستنبط ذلك من الآيات على نحوٍ لم نجده عند كثيرٍ من المتأخرين ممن تحدث عن الاجتهاد: " وابتلى طاعتهم في الاجتهاد كما ابتلى طاعتهم في غيره مما فرض عليهم، فإنه يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١]، وقال: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُم﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقال: ﴿عسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٢٩] (١).

خامساً: جعله القرآن الكريم هو مصدر التفهيم النظري، والبحث عن إجابات الأسئلة الكونية:

ويدل على هذا قصة المزني مع الشافعي قال: قُلْتُ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُخْرِجُ مَا فِي ضَمِيرِي، وَمَا تَعَلَّقَ بِهِ خَاطِرِي مِنْ أَمْرِ التَّوْحِيْدِ فَالشَّافِعِيُّ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَسْجِدِ مِصْرَ، فَلَمَّا جَثَوْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قُلْتُ: هَجَسَ فِي ضَمِيرِي مَسْأَلَةٌ فِي التَّوْحِيْدِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ أَحَداً لاَ يَعْلَمُ عِلْمَكَ، فَمَا الَّذِي عِنْدَكَ؟، فَغَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ أَنْتَ؟

قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: هَذَا المَوْضِعُ الَّذِي أَغْرَقَ اللهُ فِيْهِ فِرْعَوْنَ. أَبَلَغَكَ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمَرَ بِالسُّؤَالِ عَنْ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: هَلْ تَكَلَّمَ فِيْهِ الصَّحَابَةُ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: تَدْرِي كَمْ نَجْماً فِي السَّمَاءِ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَكَوْكَبٌ مِنْهَا: تَعْرِفُ جِنْسَهُ، طُلُوْعَهُ، أُفُولَهُ، مِمَّ خُلِقَ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَشَيْءٌ تَرَاهُ بِعَيْنِكَ مِنَ الخَلْقِ لَسْتَ تَعْرِفُهُ، تَتَكَلَّمُ فِي عِلْمِ خَالِقِهِ؟! ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي الوُضُوْءِ، فَأَخْطَأْتُ فِيْهَا، فَفَرَّعَهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ، فَلَمْ أُصِبْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ. فَقَالَ: شَيْءٌ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، تَدَعُ عِلْمَهُ، وَتَتَكَلَّفُ عِلْمَ الخَالِقِ، إِذَا هَجَسَ فِي ضَمِيرِكَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى اللهِ، وَإِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ(١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ [البَقَرَةُ:١٦٣-١٦٤] فَاسْتَدِلَّ بِالمَخْلُوْقِ عَلَى الخَالِقِ، وَلاَ تَتَكَلَّفْ عِلْمَ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ عَقْلُكَ. قَالَ: فَتُبْتُ(٢).

الفرع الثالث: من أنواع الطرق التي يستخدمها الشافعي في التفسير:

نجد تفسير الشافعي يجمع بين التفسير التحليلي والتفسير بالمأثور والتفسير بالرأي السائغ شرعاً وبين استنباط القواعد الفقهية والأصولية، ويبين استنباط الفوائد الخاصة بالآية من أحكامٍ وعبر، ونفصل ذلك في الآتي:

أولاً: يفسر بالمأثور:

فمثلاً: يروي الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُرَادِيُّ نا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَرْجَانَةَ: قَالَ عِكْرِمَةُ لَابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ ابْنَ عُمَرَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ أَخَذَنَا اللَّهُ بِهَا لَنَهْلِكَنَّ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ قَدْ

(١) المصدر السابق١/٢٢.

(٢) سير أعلام النبلاء١/٣١.

وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا حِينَ نَزَلَتْ مَا وَجَدَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَنَزَلَتْ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ [البقرة:٢٨٦] مِنْ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَكَانَ حَدِيثُ النَّفْسِ مِمَّا لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ(١).

وفي قول اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيم﴾ [الحجر:٨٧]وَهِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ أَوَّلُهَا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١] . يسند الشَّافِعِيُّ أَنَا عَبْدُ الْمَجِيدِ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي [عَنْ] سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ [فِي قَوْلِهِ]: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيم﴾ [الحجر: ٨٧]، [قَالَ]: هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ. قَالَ أَبِي: وَقَرَأَهَا عَلَى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الْآيَةُ السَّابِعَةُ. قَالَ سَعِيدٌ: وَقَرَأَهَا عَلَى ابْنِ الْعَبَّاسِ، كَمَا قَرَأْتُهَا عَلَيْكَ، ثُمَّ قَالَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الْآيَةُ السَّابِعَةُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَذَخَرَهَا اللَّهُ لَكُمْ، فَمَا أَخْرَجَهَا لِأَحَدٍ قَبْلَكُمْ(٢).

وكان يجمع بين الروايات في التفسير بالمأثور كما في تفسير الصلاة على رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– الوارد الأمر بها في سورة الأحزاب حيث قال: "وَإِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ مَعَ آلِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ- أَزْوَاجُهُ وَذُرِّيَّتُهُ؛ حَتَّى يَكُونَ قَدْ أَتَى مَا رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ- "(٣).

ثانياً: يستخدم التفسير التحليلي:

يقوم الشافعي في تفسيره بتحليلٍ عجيب للألفاظ القرآنية، ويبين سبب اختيارها في مواضعها، ويلجأ إلى تفسير القرآن بالقرآن في ذلك، وإلى بيان الأصول اللغوية، ومن ذلك تفسيره لمعنى الإحصان الوارد في القرآن وسبب تعدد معناه: "فإن قال قائلٌ: أراك توقع الإحصان على معاني مختلفة؟ قيل: نعم، جماع الإحصان أن يكون دون التحصين مانع من تناول المحرم، فالإسلام مانع وكذلك الحرية مانعة وكذلك الزوج والإصابة مانع وكذلك الحبس في البيوت مانع وكل ما منع أحصن، قال الله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُم﴾ [الأنبياء:٨٠] وقال: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَة ﴾[الحشر:١٤] يعني ممنوعة"(٤).

ثالثاً: اعتماده أسباب النزول في فهم الآيات:

ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] يقول: "زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ أَنَّ مَعْقِلَ بن يَسَارٍ كان زَوَّجَ أُخْتًا له ابن عَمٍّ له فَطَلَّقَهَا ثُمَّ أَرَادَ الزَّوْجُ وَأَرَادَتْ نِكَاحَهُ بَعْدَ مُضِيِّ عِدَّتِهَا فأبى مَعْقِلٌ، وقال: زَوَّجْتُك وَآثَرْتُك على غَيْرِك فَطَلَّقْتهَا لاَ أُزَوِّجُكَهَا أَبَدًا، فَنَزَلَ: ﴿وإذا طَلَّقْتُمْ﴾ يَعْنِي: الأَزْوَاجُ، ﴿النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يَعْنِي: فَانْقَضَى أَجَلُهُنَّ يعنى عِدَّتَهُنَّ، ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾ يَعْنِي: أَوْلِيَاءَهُنَّ، ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ إنْ طَلَّقُوهُنَّ و لم يُبْتُّوا طَلاَقَهُنَّ. وما أَشْبَهَ مَعْنَى ما قالوا من هذا بِمَا قالوا، وَلاَ أَعْلَمُ الآيَةَ تَحْتَمِلُ غَيْرَهُ لأَنَّهُ إنَّمَا يُؤْمَرُ بِأَنْ لاَ يَعْضُلَ الْمَرْأَةَ من له سَبَبٌ إلَى الْعَضْلِ بِأَنْ يَكُونَ يَتِمُّ بِهِ نِكَاحُه من الأَوْلِيَاءِ، وَالزَّوْجُ إذَا طَلَّقَهَا فَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَلَيْسَ بِسَبِيلٍ منها فَيَعْضُلُهَا وَإِنْ لم تَنْقَضِ عِدَّتُهَا فَقَدْ يَحْرُمُ عليها أَنْ تَنْكِحَ غَيْرَهُ وهو لاَ يَعْضُلُهَا عن نَفْسِهِ، وَهَذَا أَبْيَنُ ما في الْقُرْآنِ من أَنَّ لِلْوَلِيِّ مع الْمَرْأَةِ في نَفْسِهَا حَقًّا وَأَنَّ على الْوَلِيِّ أَنْ لاَ يَعْضُلَهَا إذَا رَضِيَتْ أَنْ تَنْكِحَ بِالْمَعْرُوفِ(٥).

---

(١) أحكام القرآن١/٤٢.

(٢) المصدر السابق١/٦٢.

(٣) أحكام القرآن١/٧٣.

(٤) الرسالة١/١٣٦.

(٥) الأم٦/٣١.

رابعاً: بيانه للوجوه والنظائر:

ومن أمثلة ذلك أنه ذكر أن لفظة (الأُمَّة) تأتي في القرآن عَلَى ثَلاثَةِ وُجُوهٍ:

قَوْله تَعَالَى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّة﴾ [الزخرف:٢٢]؛ قَالَ: عَلَى دِينٍ. وقَوْله تَعَالَى: ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[يوسف:٤٥] قَالَ: بَعْدَ زَمَانٍ، وقَوْله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [النحل:١٢٠]؛ قَالَ: مُعَلِّمًا(١).

وحصر الألفاظ القرآنية المتعددة في المعنى الواحد: فمثلاً قال: "ذكر الله عز و جل الطلاق في كتابه بثلاثة أسماء الطلاق والفراق والسراح فقال جل ثناؤه: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِن﴾ [الطلاق:١] وقال عز وجل: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوف﴾ [الطلاق:٢] وقال لنبيه -صلى الله عليه وآله وسلم-في أزواجه:﴿ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴾ [الأحزاب:٢٨] "(٢).

وهذا البعد ينتمي إلى التفسير الموضوعي كما يدل على شدة الاستحضار للقرآن الكريم، ويعطي جمالاً في التفسير والبيان لا يحتاج فيه إلى تفصيل وبرهان، ومن أمثلة ذلك تفخيمه لذكر النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- من خلال جمع الأوصاف القرآنية التي وصفته ،كقوله: "فكان خيرته المصطفى لوحيه المنتخب لرسالته المفضل على جميع خلقه بفتح رحمته وختم نبوته وأعم ما أرسل به مرسل قبله المرفوع ذكره مع ذكره في الأولى والشافع المشفع في الأخرى أفضل خلقه نفساً وأجمعهم لكل خلق رضيه في دين ودنيا وخيرهم نسباً وداراً: محمداً عبده ورسوله. وعرفنا وخلقه نعمه الخاصة العامة النفع في الدين والدنيا، فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيم﴾ [التوبة: ١٢٨] فصلى الله على نبينا كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون. وصلى عليه في الأولين والآخرين، أفضل وأكثر وأزكى ما صلى على أحد من خلقه. وزكانا وإياكم بالصلاة عليه أفضل ما زكى أحداً من أمته بصلاته عليه. والسلام عليه ورحمة الله وبركاته..."(٣).

خامساً: يتوصل إلى إثبات الحكم بالجمع بين الآيات المتعددة في المعنى الواحد:

حيث يقوم الشافعي بتطبيق مبدأ الاستقصاء (السبر والتقسيم) للآيات التي تدور حول قضية واحدة، ويستخرج منها الحكم، ومن أمثلة ذلك قوله: "وَمَنْ لم تَتُقْ نَفْسُهُ و لم يَحْتَجْ إلَى النِّكَاحِ من الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ بِأَنْ لم تُخْلَقْ فيه الشَّهْوَةُ التي جُعِلَتْ في أَكْثَرِ الْخَلْقِ فإن اللَّهَ عز وجل يقول: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء﴾ [آل عمران:١٤]، أو بِعَارِضٍ أَذْهَبَ الشَّهْوَةَ من كِبَرٍ أو غَيْرِهِ فَلاَ أَرَى بَأْسًا أَنْ يَدَعَ النِّكَاحَ بَلْ أُحِبُّ ذلك وَأَنْ يَتَخَلَّى لِعِبَادَةِ اللَّهِ، وقد ذَكَرَ اللَّهُ عز وجل الْقَوَاعِدَ من النِّسَاءِ فلم يَنْهَهُنَّ عن الْقُعُودِ و لم يَنْدُبْهُنَّ إلَى نِكَاحٍ فقال: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَة﴾ [النور:٦٠] الآيَةَ، وَذَكَرَ عَبْدًا أَكْرَمَهُ قال: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ [آل عمران: ٣٩] وَالْحَصُورُ الذي لاَ يَأْتِي النِّسَاءَ و لم يَنْدُبْهُ إلَى نِكَاحٍ، فَدَلَّ ذلك وَاَللَّهُ أَعْلَمُ على أَنَّ الْمَنْدُوبَ إلَيْهِ من يَحْتَاجُ إلَيْهِ مِمَّنْ يَكُونُ مُحْصَنًا له عن الْمَحَارِمِ وَالْمَعَانِي التي في النِّكَاحِ فإن اللَّهَ عز وجل يقول: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٦]"(٤).

---

(١) أحكام القرآن١/٤٢.

(٢) المصدر السابق١/٢٢٢.

(٣) الرسالة١/١٢.

(٤) الأم٦/٣٧٦.

سادساً: تفسيره بذكر مقتضيات الكلام:

كما في تفسير قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُون﴾ [المطففين: ١٥] قَالَ: "فَلَمَّا حَجَبَهُمْ فِي السَّخَطِ: كَانَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ فِي الرِّضَا"(١)، وقد ذكر ابن عساكر مثل هذه الرواية عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول في قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؛ علمنا بذلك أن قوماً غير محجوبين، ينظرون إليه، لا يضامون في رؤيته، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ترون ربكم يوم القيامة كما ترون الشمس، لا تضامون في رؤيتها))(٢).

سابعاً: يفسر الآية بضرب المثال:

كما في قوله عز وجل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [البقرة: ١٥٥] الآية، حيث قال: "معناه –والله أعلم– الخوف: خوف العدو، والجوع: جوع شهر رمضان، ونقص من الأموال: الزكوات، والأنفس: الأمراض، والثمرات: الصدقات، وبشر الصابرين: على أدائها"(٣)، ومعلوم أن الذي ذكر صور تمثيلية لا تُخرِجُ غيرها من الصور.

ثامناً: استنباطه لتعريفات دقيقة من خلال التأمل القرآني:

ففي استنباطه للقواعد الأصولية المستخرجة من قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء:٤٣] عَرَّفَ الصلاة تعريفاً دقيقاً نظراً إلى أركانها وآدابها ومحظوراتها فقال: "والصلاة قول وعمل وإمساك فإذا لم يعقل القول والعمل والإمساك فلم يأت بالصلاة كما أمر، فلا تجزئ عنه، وعليه إذا أفاق القضاء"(٤).

تاسعاً: الاستنباط الدقيق للأحكام:

مثاله: استنباطه الدقيق من القرآن الكريم للماء الذي يتوضأ به هل يكون جديداً أو مستعملاً؟

"قَالَ الشَّافِعِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ): وَإِنَّمَا قُلْتُ: لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ بِمَاءٍ قَدْ تَوَضَّأَ بِهِ غَيْرُهُ لِأَنَّ اللَّهَ (جَلَّ ثَنَاؤُهُ) يَقُولُ: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُم﴾[المائدة: ٦]، فَكَانَ مَعْقُولًا . أَنَّ الْوَجْهَ لَا يَكُونُ مَغْسُولًا إلَّا بِأَنْ يَبْتَدِئَ لَهُ بِمَاءٍ فَيُغْسَلَ بِهِ، ثُمَّ عَلَيْهِ فِي الْيَدَيْنِ عِنْدِي مِثْلُ مَا عَلَيْهِ فِي الْوَجْهِ [مِنْ] أَنْ يَبْتَدِئَ لَهَما مَاءً، فَيَغْسِلَهُمَا بِهِ . فَلَوْ أَعَادَ عَلَيْهِمَا الْمَاءَ الَّذِي غَسَلَ بِهِ الْوَجْهَ كَانَ كَأَنَّهُ لَمْ يُسَوِّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَجْهِهِ وَلَا يَكُونُ مُسَوِّيًا بَيْنَهُمَا حَتَّى يَبْتَدِئَ لَهُمَا الْمَاءَ، كَمَا ابْتَدَأَ لِلْوَجْهِ {وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ لِكُلِّ عُضْوٍ مَاءً جَدِيدًا}"(٥).

عاشراً: بيانه للمعاني المحتملة التي تتطرق إلى الآية ثم ترجيحه لواحد منها بأدلة أخرى:

حيث يرجح قولاً تفسيرياً وفق أحد المرجحات كأن يستدل بالسنة على الترجيح، ومن أمثلة ذلك أنه في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] يقول:

---

(١) أحكام القرآن١/٤٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق٥١/٣١٣، والحديث رواه البخاري ص١٢٤و١٤١، ومسلم ١/٤٣٩، لكن عندهما بلفظ:(إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته) بدل الشمس: القمر، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، وقد ورد لفظ الشمس في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عند البخاري١/٢٠٤، ومسلم٩/١٥٦.

(٣) أحكام القرآن ١/٣٩.

(٤) الرسالة١/١٢١.

(٥) أحكام القرآن١/٤٩.

"فاحتملت الآية معنيين أحدهما أن لا يحرم على طاعمٍ أبداً إلا ما استثنى الله...، ويحتمل قول الله: ﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُه﴾[الأنعام: ١٤٥] من شيءٍ سئل عنه رسول الله دون غيره، ويحتمل مما كنتم تأكلون، وهذا أولى معانيه استدلالاً بالسنة عليه دون غيره، أخبرنا سفيان عن ابن شهاب عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ثعلبةﷺ: (أن النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- نهى عن كل ذي ناب من السباع "(١).

أحد عشر: بيانه للخلفية التي نزلت الآيات بسببها مما لا يتعلق بسبب نزول مباشر على هيئة يفهم منها معنى هذه الآيات بصورة أوضح:

وهذا يؤدي إلى التأصيل والتعليل للأحكام والأخبار الشرعية، ومن ذلك: تحليله المتين للخلفية التي نزلت بسببها آية طاعة أولي الأمر مما سبق، ومن ذلك بيانه لموضوع النسخ وسببه وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[البقرة: ١٠٦] حيث يقول: "إن الله خلق الخلق لما سبق في علمه مما أراد بخلقهم وبهم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، وأنزل عليهم الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وفرض فيه فرائض أثبتها وأخرى نسخها رحمة لخلقه بالتخفيف عنهم وبالتوسعة عليهم زيادة فيما ابتدأهم به من نعمه وأثابهم على الانتهاء إلى ما أثبت عليهم جنته والنجاة من عذابه فعمتهم رحمته فيما أثبت ونسخ فله الحمد على نعمه"(٢).

اثنا عشر: القياس الأولوي في القرآن الكريم، وجعله قاعدة حياتية في تفسير الشافعي:

ومن ذلك قوله: "قال رسول اللهﷺ: ((إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وأن يظن به إلا خيراً)) فإذا حرم أن يظن به ظنّاً مخالفاً للخير يظهره كان ما هو أكثر من الظن المظهر ظنّاً من التصريح له بقول غير الحق أولى أن يحرم ثم كيف ما زيد في ذلك كان أحرم، قال الله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] فكان ما هو أكثر من مثقال ذرة من الخير أحمد وما هو أكثر من مثقال ذرة من الشر أعظم في المأثم"(٣).

الفرع الرابع: نماذج للقواعد التفسيرية الدقيقة التي استعملها لفهم القرآن الكريم:

وهذه القواعد استعملها، ويستكشفها الإنسان من صنيعه في فهم القرآن الكريم لا أنه بالضرورة وضعها بنفسه:

أولاً: التفسير بما خرج عن مقتضى الظاهر لمقتضى أقوى:

وفي هذه النماذج نجد محاولة الشافعي معرفة المتقدم والمتأخر للآيات في الترتيب الزمني بناءً على المعاني القرآنية وفق معانيها المنطقية، كما نجد فيها أنموذجاً لتعدد أقوال الشافعي في تفسير الآية الواحدة، ونظرته للترتيب الزمني في نزول الآيات، ومن هذه النماذج:

أن الشافعي ذكر معنيين لقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح:٢]، وبين التاريخ الزمني لنـــزولها مقارنة بنـــزول قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي ولا بكم﴾[الأحقاف:٩] حيث درى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يفعل به من المغفرة بناء على سورة الفتح، وفي ذلك يقول الشافعي: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

---

(١) الرسالة٢/٢٠٦، والحديث رواه البخاري ص١٠٩٠، ومسلم ١٥٣٣/٣. إلا أنه عند البخاري وأكثر طرق مسلم بزيادة لفظة: (أكل) قبل:(كل).

(٢) المصدر السابق١/١٠٦.

(٣) المصدر السابق٣/٥١٤، والحديث رواه ابن ماجة٥/٨٥ عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما- بلفظ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: ((مَا أَطْيَبَكِ ، وَأَطْيَبَ رِيحَكِ ، مَا أَعْظَمَكِ ، وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ ، مَالِهِ ، وَدَمِهِ ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلاَّ خَيْرًا))، وفي إسناده مقال.

لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾[الأحقاف:٩] ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ يَعْنِي: وَاَللَّهُ أَعْلَمُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ قَبْلَ الْوَحْيِ وَمَا تَأَخَّرَ أَنْ يَعْصِمَهُ، فَلَا يُذْنِبُ، يَعْلَمُ [اللَّهُ] مَا يُفْعَلُ بِهِ مِنْ رِضَاهُ عَنْهُ وَأَنَّهُ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَيِّدُ الْخَلَائِقِ". و"سُئِلَ الشَّافِعِيُّ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَك فَتْحًا مُبِينًا(١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح:١-٢] قَالَ: مَعْنَاهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِ أَبِيكَ آدَمَ وَهَبْتُهُ لَكَ وَمَا تَأَخَّرَ مِنْ ذُنُوبِ أُمَّتِكَ أُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِكَ" —وهذا القول كما وصفه البيهقي-: قَوْلٌ مُسْتَظْرَفٌ(١)، وهو يدل على جمال تفكير الشافعي، وبديع فهمه.

ومن بيانه لخروج الأمر عن مقتضى الظاهر: **ما ذكره فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه﴾[الروم:٢٧]**. قَالَ: "مَعْنَاهُ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ فِي الْعِبْرَةِ عِنْدَكُمْ لَمَّا كَانَ يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ، فَيَخْرُجُ مُفَصَّلًا بِعَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ وَسَمْعِهِ وَمَفَاصِلِهِ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ الْعُرُوقِ فَهَذَا فِي الْعِبْرَةِ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَقُولَ لِشَيْءٍ قَدْ كَانَ: عُدْ إلَى مَا كُنْتَ قَالَ: فَهُوَ إنَّمَا هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ فِي الْعِبْرَةِ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ أَنَّ شَيْئًا يَعْظُمُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (٢).

ثانياً: استكشاف الترتيب الزمني للآيات يزيل موهم التناقض والاختلاف:

ومن أمثلة ذلك جمعه بين آيات النهي عن مودة المحادين لله ورسوله وبين البر والإقساط إليهم حيث يقول: "يُقَالُ (وَاَللَّهُ أَعْلَمُ) إنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ تَأَثَّم مِنْ صِلَةِ الْمُشْرِكِينَ أَحْسَبُ ذَلِكَ لَمَّا نَزَلَ فَرْضُ جِهَادِهِمْ، وَقَطَعَ الْوِلَايَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَنَزَلَ: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَه﴾[المجادلة:٢٢] الْآيَةَ، فَلَمَّا خَافُوا أَنْ تَكُونَ [الْمَوَدَّةُ]: الصِّلَةَ بِالْمَالِ، أَنْزَلَ: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨-٩] قَالَ الشَّافِعِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ): وَكَانَتْ الصِّلَةُ بِالْمَالِ، وَالْبِرُّ وَالْإِقْسَاطُ وَلِينُ الْكَلَامِ، وَالْمُرَاسَلَةُ بِحُكْمِ اللَّهِ غَيْرَ مَا نُهُوا عَنْهُ مِنْ الْوِلَايَةِ لِمَنْ نُهُوا عَنْ وِلَايَتِهِ: مَعَ الْمُظَاهَرَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَذَلِكَ: أَنَّهُ أَبَاحَ بِرَّ مَنْ لَمْ يُظَاهِرْ عَلَيْهِمْ: مِنْ الْمُشْرِكِينَ. وَالْإِقْسَاطُ إلَيْهِمْ، وَلَمْ يُحَرِّمْ ذَلِكَ إلَى مَنْ أَظْهَرَ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ: ذَكَرَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا عَلَيْهِمْ، فَنَهَاهُمْ عَنْ وِلَايَتِهِمْ وَكَانَ الْوِلَايَةُ غَيْرَ الْبِرِّ وَالْإِقْسَاطِ. وَكَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ- فَادَى بَعْضَ أَسَارَى بَدْرٍ، وَقَدْ كَانَ أَبُو عَزَّةَ الْجُمَحِيُّ مِمَّنْ مَنَّ عَلَيْهِ: وَقَدْ كَانَ مَعْرُوفًا بِعَدَاوَتِهِ، وَالتَّأْلِيبِ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَلِسَانِهِ. وَمَنَّ بَعْدَ بَدْرٍ عَلَى ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ: وَكَانَ مَعْرُوفًا: بِعَدَاوَتِهِ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ؛ ثُمَّ مَنَّ عَلَيْهِ بَعْدَ إسَارِهِ. وَأَسْلَمَ ثُمَامَةُ، وَحَبَسَ الْمِيرَةَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ: فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ- أَنْ يَأْذَنَ لَهُ أَنْ يَمِيرَهُمْ؛ فَأَذِنَ لَهُ فَمَارَهُمْ. وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[الإنسان: ٨]، وَالْأَسْرَى يَكُونُونَ مِمَّنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"(٣).

---

(١) أحكام القرآن١/٣٧، وانظر: الأم٩/٥٩، والاستظراف هنا يعني دقة الفهم، وتفرده، وليس كما شاع في معناها عند المتأخرين.

(٢) أحكام القرآن١/٤١.

(٣) المصدر السابق ٢/١٩٢، وانظر: تتمة أضواء البيان٨/١٥٤.

ثالثاً: الاستغناء بالتنزيل عن التفسير:

وهذه من القواعد التي وضعها ليبين فخامة البيان القرآني، وشدة وضوحه، وعدم الاحتياج إلى تفسير الناس، واستغنائه بلفظه عن بيان غيره فإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل -كما قيل-.

يقول الشافعي: "وما قال مجاهد من هذا بين في الآية مستغنى فيه بالتنـــزيل عن التفسير"(١)، وهذا ضابطٌ جليل فيما لا يحتاج فيه إلى زيادة بيان مع وضوح الحق فيه دون احتياجٍ لبرهان، ولذا يومئ إلى عدم احتياج القرآن للتفسير عندما يكون لفظه أجلى من الشمس للعيان فقال مثلاً: "فأنزل الله ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦] فكتب أن لا يفر المائة من المائتين. قال: وهذا كما قال ابن عباس إن شاء الله، وقد بين الله هذا في الآية وليست تحتاج إلى تفسير(٢).

رابعاً: السياق يوضح المنساق:

من القواعد التي استعملها لفهم القرآن الكريم: السياق يوضح المنساق، وجعل ذلك لبعض القرآن الكريم، ولم يعمم القاعدة فقال: "باب الصنف الذي يبين سياقه معناه: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[الأعراف: ١٦٣] فابتدأ جل ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: (إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ) الآية، دل على أنه إنما أراد أهل القرية لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون، وقال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾[الأنبياء: ١١- ١٢]، وهذه الآية في مثل معنى الآية قبلها فذكر قصم القرية فلما ذكر أنها ظالمة بان للسامع أن الظالم إنما هم أهلها دون منازلها التي لا تظلم ولما ذكر القوم المنشئين بعدها وذكر إحساسهم البأس عند القصم أحاط العلم انه إنما أحس البأس من يعرف البأس من الآدميين"(٣)، كما ذكر قاعدة أخرى قريبة من هذه القاعدة، ونصها: "الصنف الذي يدل لفظه على باطنه دون ظاهره"(٤).

ومن أمثلة اعتباره للسياق:

ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: ٢٣٢] قال: " فَإِنْ قال قَائِلٌ: قد تَحْتَمِلُ إِذَا قَارَبْنَ بُلُوغَ أَجَلِهِنَّ لأَنَّ اللَّهَ عز وجل يقول لِلأَزْوَاجِ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[البقرة: ٢٣١]فَالآيَةُ تَدُلُّ على أَنَّهُ لم يُرِدْ بها هذا الْمَعْنَى وَأَنَّهَا لاَ تَحْتَمِلُهُ لأَنَّهَا إِذَا قَارَبَتْ بُلُوغَ أَجَلِهَا أو لم تَبْلُغْهُ فَقَدْ حَظَرَ اللَّهُ تَعَالَى عليها أَنْ تُنْكَحَ لِقَوْلِ اللَّهِ عز وجل: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾[البقرة: ٢٣٥] فَلاَ يَأْمُرُ بِأَنْ لاَ يَمْنَعَ من النِّكَاحِ من قد مَنَعَهَا منه إِنَّمَا يَأْمُرُ بِأَنْ لاَ يَمْتَنِعَ مِمَّا أَبَاحَ لها من هو بِسَبَبٍ من مَنْعِهَا"(٥).

---

(١) الرسالة١/١٤.

(٢) المصدر السابق١/١٢٨.

(٣) المصدر السابق١/٦٢.

(٤) المصدر السابق١/٦٤.

(٥) الأم٦/٣٧١.

خامساً: تأكيده على ضرورة تصديق الكتاب بعضه بعضاً:

ويفسر بعضه بعضاً، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير قوله تعالى:﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]: "يعني بالحال التي أحلها به. ألا ترى أن قوله: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ بمعنى: ما أحل به، لا أن واحدة من النساء حلال بغير نكاح يصح ولا أنه يجوز نكاح خامسة على أربع ولا جمع بين أختين ولا غير ذلك مما نهى عنه"(١).

سادساً: تأكيده على التفريق بين التخصيص والنسخ:

حيث قال: "وفي هذا الدليل على ما وصفت من أن القرآن عربي يكون منه ظاهره عامّاً وهو يراد به الخاص لا أن واحدة من الآيتين نسخت الأخرى ولكن كل واحدة منهما على ما حكم الله به"(٢).

سابعاً: لفته النظر إلى دقائق المعاني القرآنية التي يتضمنها اللفظ القرآني:

ومن ذلك استنباطه للأحكام الفقهية من غير الآيات التي نص أهل العلم على أنها تتعلق بالأحكام كما في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة: ٣٦] حيث قال: "فلم يَخْتَلِفْ أَهْلُ العلم (العمل) بِالْقُرْآنِ فِيمَا عَلِمْت أَنَّ السُّدَى الذي لاَ يُؤْمَرُ وَلاَ ينهي وَمَنْ أَفْتَى أو حَكَمَ بِمَا لم يُؤْمَرْ بِهِ فَقَدْ أَجَازَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ في مَعَانِي السُّدَى وقد أَعْلَمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لم يَتْرُكْهُ سُدًى وَرَأَى أَنْ قال: أَقُولُ بِمَا شِئْت، وَادَّعَى ما نَزَلَ الْقُرْآنُ بِخِلاَفِهِ في هذا"(٣).

ثامناً: بيانه لضرورة عدم الاغترار باللفظ العام إذا بقيت الاحتمالات تطرقه:

إذ ذلك شأن اللغة العربية، وفي هذا حدٌّ من غلو الغالين، والشافعي استنبط هنا قواعد أصولية كان لها أبلغ الأثر على الفكر الإسلامي كقاعدة الفرض الكفائي: ففي قول الله جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التوبة:٣٨-٣٩] وقوله: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١] يقول الشافعي: "فاحتملت الآيات أن يكون الجهاد كله والنفير خاصة منه على كل مطيق له لا يسع أحداً منهم التخلف عنه كما كانت الصلوات والحج والزكاة فلم يخرج أحدٌ وجب عليه فرض منها من أن يؤدي غيره الفرض عن نفسه لأن عمل أحد في هذا لا يكتب لغيره، واحتملت أن يكون معنى فرضها غير معنى فرض الصلوات وذلك أن يكون قصد بالفرض فيها قصد الكفاية فيكون من قام بالكفاية في جهاد من جوهد من المشركين مدركاً تأدية الفرض ونافلة الفضل ومخرجاً من تخلف من المأثم، و لم يسوِّ الله بينهما فقال الله: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:٩٥]، فأما الظاهر في الآيات فالفرض على العامة. قال: فأبن الدلالة في أنه إذا قام بعض العامة بالكفاية أخرج المتخلفين من المأثم. فقلت له: في هذه الآية. قال: وأين هو منها؟ قلت: قال الله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ فوعد المتخلفين عن الجهاد الحسنى على الإيمان وأبان فضيلة المجاهدين على القاعدين ولو كانوا آثمين بالتخلف إذا غزا غيرهم كانت

---

(١) الرسالة٢/٢٢٩.

(٢) المصدر السابق١/١٤٨.

(٣) الأم٩/٦٨، أحكام القرآن١/٣٦.

العقوبة بالإثم إن لم يعفو الله أولى بهم من الحسنى. قال: فهل تجد في هذا غير هذا؟ قلت: نعم قال الله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:١٢٢] وغزى رسول الله وغزى معه من أصحابه جماعة وخلف أخرى حتى تخلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك"(١).

المطلب الخامس: بين الشافعي المفسِّر وغيره من المفسرين

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: ذكر الشافعي لأقوال المفسرين السابقين.

الفرع الثاني: تأثر المفسرين بعبقريته التفسيرية.

الفرع الثالث: إفادة شيخ المفسرين ابن جرير منه.

الفرع الرابع: ترجيحه لتفسير خالفه فيه كثير من المفسرين بعده.

الفرع الأول: ذكر الشافعي لأقوال المفسرين السابقين:

أولاً: كان الشافعي يذكر أحياناً الأقوال التفسيرية التي وردت في الآية، وهذا الذكر لأقوال المفسرين يدل على تقبله لتعدد المعاني في حال قوة كل منها:

فَفِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة:١٥٠] ذكر عدة أقوال تفسيرية فيها ورجح إحداها حيث قال:

"قِيلَ فِي ذَلِكَ (وَاَللَّهُ أَعْلَمُ): لَا تَسْتَقْبِلُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مِنْ الْمَدِينَةِ، إلَّا وَأَنْتُمْ مُسْتَدْبِرُونَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَإِنْ جِئْتُمْ مِنْ جِهَةِ نَجْد الْيَمَنِ فَكُنْتُمْ تَسْتَقْبِلُونَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ اسْتَقْبَلْتُمْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ لَا أَنَّ إرَادَتَكُمْ: بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَإِنْ اسْتَقْبَلْتُمُوهُ بِاسْتِقْبَالِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [وَ] لَأَنْتُمْ كَذَلِكَ: تَسْتَقْبِلُونَ مَا دُونَهُ [وَ] وَرَاءَهُ لَا إرَادَة أَنْ يَكُونَ قِبْلَةً، وَلَكِنَّهُ جِهَةَ قِبْلَةٍ.

وَقِيلَ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة:١٥٠] فِي اسْتِقْبَالِ قِبْلَةِ غَيْرِكُمْ .

وَقِيلَ: فِي تَحْوِيلِكُمْ عَنْ قِبْلَتِكُمْ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إلَى غَيْرِهَا .

وَهَذَا أَشْبَهُ مَا قِيلَ فِيهَا (وَاَللَّهُ أَعْلَمُ) لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ إلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾[البقرة: ١٤٢]. فَأَعْلَمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ- أَنْ لَا حُجَّةَ عَلَيْهِمْ فِي التَّحْوِيلِ، يَعْنِي: لَا يَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ بِشَيْءٍ، يُرِيدُ الْحُجَّةَ إلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ . لَا أَنَّ لَهُمْ حُجَّةً ؛ لِأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْ قِبْلَتِهِمْ إلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي أُمِرُوا بِهَا"(٢).

ثانياً: وكان يبين كلام المفسرين قبله وشرحه للمعاني التي قصدوها:

---

(١) الرسالة٢/٣٦٣.

(٢) أحكام القرآن١/٦٦.

ومن ذلك قوله في التعليق على كلام مجاهد الذي كثيراً ما يروي عنه في التفسير: عن مجاهد في قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح : ٤] قال: لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله (٣٨) يعني والله أعلم: ذكره عند الإيمان بالله والآذان، ويحتمل ذكره عند تلاوة الكتاب، وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية (١).

ثالثاً: تأسيس تعامله مع المخالفين له في التفسير على أساس الاحترام والتوقير:

وهذا دأب الشافعي وأدبه وعقله الذي قيل فيه: "لَوْ جُمِعَتْ أُمَّةٌ لَوَسِعَهُمْ عَقْلُهُ"(٢)، ولذا كان:

١) ينسب العلم مثلاً إلى مخالفه في الرأي، وهذا كثيرٌ في لفظه(٣).

٢) ويلتمس التأويل للمخالفين للدليل مع ظهوره وبيانه كما في قوله: "وأما أن نخالف حديثاً عن رسول الله ثابتا عنه فأرجو أن لا يؤخذ ذلك علينا إن شاء الله ، وليس ذلك لأحد، ولكن قد يجهل الرجل السنة فيكون له قول يخالفها لا أنه عمد خلافها، وقد يغفل المرء ويخطئ في التأويل"(٤).

٣) وهذا التعامل يدل على عبقرية الإمام الشافعي واستيعابه لاختلاف العلماء، كما يدل ذلك على أنه يعتمد قاعدة حمل النظم القرآني على المعاني المتعددة ما دام نظمه يحتملها، ولا أدلة تعارضها، وقد سبق أنه ذاته له أكثر من تفسير في الآية الثانية من سورة الفتح، ولقدرته على استيعاب الآخرين قَالَ يُونُسُ الصَّدَفِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ، نَاظَرْتُهُ يَوْماً فِي مَسْأَلَةٍ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقِيَنِي، فَأَخَذَ بِيَدِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوْسَى، أَلاَ يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُوْنَ إِخْوَاناً وَإِنْ لَمْ نَتَّفِقْ فِي مَسْأَلَةٍ(٥)،

الفرع الثاني: تأثر المفسرين بعبقريته التفسيرية:

تأثر المفسرين عموماً بطريقته في التدبر والاستنباط:

فمنهم الكيا الهراسي إذ يقول عن أسباب وضع كتابه أحكام القرآن: "فإني لما تأملت مذاهب القدماء المعتبرين، والعلماء المتقدمين والمتأخرين واختبرت مذاهبهم وآراءهم، ولحظت مطالبهم وأبحاثهم، رأيت مذهب الشافعي رضي اللّه عنه وأرضاه أسدها وأقومها، وأرشدها وأحكمها، حتى كان نظره في كبر آرائه، ومعظم أبحاثه، يترقى عن حد الظن والتخمين، إلى درجة الحق واليقين. و لم أجد لذلك سببا أقوى، وأوضح وأوفى، من تطبيقه مذهبه على كتاب اللّه تعالى، الذي: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]..، وأنه أتيح له درك غوامض معانيه، والغوص على تيار بحره لاستخراج ما فيه، وأن اللّه فتح عليه من أبوابه، ويسر عليه من أسبابه، ورفع له من حجابه، ما لم يسهل لمن سواه، و لم يتأت لمن عداه، فكان على ما أخبر اللّه تعالى عن ذي القرنين في قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٤-٨٥] (٦).

---

(١) الرسالة١/١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/١٥.

(٣) انظر مثلاً: الرسالة٣/٥١٦.

(٤) انظر مثلاً: المصدر السابق٢/٢١٩.

(٥) سير أعلام النبلاء١٠/١٦، وقد اشتهر في هذا المعنى بيتين نسبا للشافعي ولكنني لم أعثر عليهما في ديوانه، ولا مظان ذلك من كتب الأدب، وهما:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فَكُلُّكَ عوراتٌ وَلِلنـــاسِ أَلسُـــنُ

وَعَينُـــكَ إِن أَبدَت إِلَيكَ مَعائِبًا فصنها وَقُل يا عَينُ لِلناسِ أَعيُنُ.

(٦) أحكام القرآن للكيا الهراسي١/٢.

وممن تأثر باستنباطه الغزير، وعلمه الدر النثير الفخر الرازي الذي حاول طريقته في الاستنباط في تفسيره، فقد قال: (واعلم أنّ من طالع التفسير الذي صنفناه ووقف على كيفية استنباطنا للمسائل على وفق مذهب الشافعيّ من كتاب الله تعالى علم أنّ الشافعيّ كان بحراً لا ساحل له في هذا العلم) (١).

الفرع الثالث: إفادة شيخ المفسرين ابن جرير منه:

ابن جرير الطبري هو شيخ المفسرين، واحتفاؤه بأقوال الشافعي في التفسير يدل على مدى أهمية تفسير الشافعي، وقد استفاد ابن جرير من تفسير الشافعي، وأكثر من النقل عنه فمن ذلك:

١) ما نقله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] من قوله: "وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَهُوَ كُلُّ مَرَضٍ كَانَ الأَغْلَبُ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِهِ بِالصَّوْمِ الزِّيَادَةَ فِي عِلَّتِهِ زِيَادَةً غَيْرَ مُحْتَمِلَةٍ وَذَلِكَ هُوَ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ عَنْهُ الرَّبِيعُ"(٢).

٢) ما نقله في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥] من قوله: "وَقَالَ آخَرُونَ: "إِنَّمَا عَنَى بِالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ فِي هَذِهِ الآيَةِ، الَّذِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِمُ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَبْنَائِهِمْ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ دَخِيلاً فِيهِمْ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ مِمَّنْ دَانَ بِدِينِهِمْ وَهُوَ مِنْ غَيْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يُعْنَ بِهَذِهِ الآيَةِ وَلَيْسَ هُوَ مِمَّنْ يَحِلُّ أَكْلُ ذَبَائِحِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ أُوتِيَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ الْمُسْلِمِينَ. وَهَذَا قَوْلٌ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُهُ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ عَنْهُ الرَّبِيعُ، وَيَتَأَوَّلُ فِي ذَلِكَ قَوْلَ مَنْ كَرِهَ ذَبَائِحَ نَصَارَى الْعَرَبِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ"(٣).

٣) وقد ناقش ما قاله الشافعي في الموضع ذاته فقال: "فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ إِجْمَاعًا مِنَ الْحُجَّةِ ألا باس بذبيحة كُلِّ نَصْرَانِيٍّ وَيَهُودِيٍّ، دَانَ دِينَ النَّصَارَى أَوِ الْيَهُودِ، فَأَحَلَّ مَا أَحَلُّوا، وَحَرَّمَ مَا حَرَّمُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَبَيِّنٌ خَطَأُ مَا قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي ذَلِكَ وَتَأْوِيلُهُ الَّذِي تَأَوَّلَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾[المائدة:٥] أَنَّهُ ذَبَائِحُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَصَوَابُ مَا خَالَفَ تَأْوِيلَهُ ذَلِكَ، وَقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ كُلَّ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ فَحَلاَلٌ ذَبِيحَتُهُ مِنْ أَيِّ أَجْنَاسِ بَنِي آدَمَ كَانَ، وَأَمَّا الطَّعَامُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾[المائدة:٥] فَإِنَّهُ الذَّبَائِحُ(٤).

٤) وقال في آية الوضوء: "وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَمْ أَعْلَمْ مُخَالِفًا فِي أَنَّ الْمَرَافِقَ فِيمَا يُغْسَلُ. كَأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ مَعْنَاهَا: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى أَنْ تُغْسَلَ الْمَرَافِقُ"(٥).

٥) وقال في آية الحرابة: "وَقَالَ آخَرُونَ تَضَعُ تَوْبَتُهُ عَنْهُ حَدَّ اللَّهِ الَّذِي وَجَبَ عَلَيْهِ بِمُحَارَبَتِهِ، وَلاَ يُسْقِطُ عَنْهُ حُقُوقَ بَنِي آدَمَ، وَمِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ الشَّافِعِيُّ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ عَنْهُ الرَّبِيعُ"(٦).

والأمثلة كثيرة مما يدل على كثرة رواية الطبري عن الشافعي، واحتفائه بذلك.

---

(١) مناقب الشافعي للفخر الرازي ص١٩٣.

(٢) الطبري٣/٤٥٨.

(٣) المصدر السابق٩/٥٧٥.

(٤) المصدر السابق٩/٥٧٦.

(٥) المصدر السابق١٠/٤٧.

(٦) المصدر السابق١٠/٢٨٧.

الفرع الرابع: ترجيحه لتفسير خالفه فيه كثير من المفسرين بعده:

ومن ذلك ترجيحه في معنى (أحصن): أسلمن، حيث قال: "ولما قال رسول اللهﷺ: ((إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها))(١) ولم يقل محصنة كانت أو غير محصنة استدللنا على أن قول الله في الإماء: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾[النساء:٢٥] إذا أسلمن –قال– : وآخر الكلام وأوله يدلان على أن معنى الإحصان المذكور عاماً في موضع دون غيره أن الإحصان ها هنا الإسلام دون النكاح والحرية والتحصين بالحبس والعفاف وهذه الأسماء التي يجمعها اسم الإحصان"(٢)، وقد ذكر الشافعي أن الإحصان يأتي بمعنى النكاح والإسلام، والحرية، والتحصين بالحبس والعفة(٣) كأنه مأخوذٌ من الحصن، واختار في معنى هذه الآية من سورة النساء أن الإحصان بمعنى الإسلام، وهو الذي اختاره الطبري من بعده(٤).

وقد خالفه كثير من المفسرين فقالوا: أحصن أي تزوجن كما ذهب إليه ابن كثير، وابن عاشور والشنقيطي، وقال: "وقول من قال من العلماء: إن المراد بالإحصان في قوله: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾، الإسلام خلاف الظاهر من سياق الآية؛ لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات حيث قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾[النساء:٢٥] الآية"(٥)، مع أن الطاهر بن عاشور نقل عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن عُمَر، بأنّ الإحصان هنا: الإسلام، ونقل عن القاضي إسماعيل بن إسحاق استبعاده(٦).

الخاتمة:

بذا أرجو أن يكون البحث قد أعطى صورة موجزة ولكنها واضحة المعالم عن الجانب التفسيري في حياة الإمام الشافعي، وأوضح الحياة القرآنية العلمية والمخبتة عند الإمام رحمه الله، ولعل البحث قد أعطى إشارات تدل على جهود مجدد القرن الثاني في علم التفسير، وهو الذي لم تفارقه اللغة القرآنية، والنفحة النورانية حتى بعد موته، فقد قال الربيعُ بنُ سُلَيْمان: رأيت الشافعي بعد وفاته في المنام فقلت: يا أبا عَبد الله ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب(٧)، وهذا يذكرنا بقول أبي بكر بن دريد الأزدي صاحب الجمهرة:

ألم تـــــــرَ آثـــــــــــارَ ابـــــــــــنِ إدريـــــــــــــس
بـــــــــعـــــــــده دلائلُها في المشـــــــــــــــكلات لـــــــــوامعُ
مـــــــــعـــــــــالم يفـــــــــــــنى الدهـــــــــــرُ وهي خـــــــــــوالدٌ
وتنخفضُ الأعـــــــــــــــــلامُ وهي فـــــــــــوارعُ
منـــــــــــاهجُ فيـــــــــها للـــــهـــــــــدُى متـــــــــــــصـــــــــــرفٌ
مـــــــــــواردُ فيـــــــها لـــــــلـــــرشـــــــــادِ شـــــــــــرائـــــــــعُ

---

(١) والحديث رواه البخاري ص٤١٦، ومسلم ١٣٢٨/٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الرسالة١/١٣٥.

(٣) وقد حقق الشافعي في جمع هذه المعاني وأجاد بما لا نجده عند غيره ممن جاء بعده.

(٤) الطبري٨/١٩٨.

(٥) أضواء البيان١/٣٧٥، وانظر: ابن كثير٢/٢٦٢، التحرير والتنوير٥/١٧.

(٦)التحرير والتنوير٥/١٧.

(٧) انظر: تاريخ بغداد٢/٤١١، تاريخ مدينة دمشق٥١/٤٣٥، تهذيب الكمال٢٤/٣٧٧ .

لِرأي ابنِ إدريـــــــــــــــس ابـــــــنِ عمـــــــــــــــيِّ محـــــــــــــمدٍ ضياءٌ إذا ما أظلمَ الخطْبُ ساطِعُ

إذا المفظِعات المشكلات تشـــــــــــــابهت سَـمَا مِنهُ نورٌ في دُجـــــــــاهُـــــــــنَّ لامِـــــــــعُ

أبـــــــــــــــــــى اللـــــــــــــــلهُ إلا رفـــــــــــــــــعـــــــــــــــــَهُ وعـــــــــــــــلـــــــــــــــوَّه وليسَ لمـــــــــــــــــا يُعليه ذو العرشِ واضِعُ

فمَنْ يكُ عِـــــــــــــــلـــــمُ الشـــــــــــــــافعي إمـــــــــــــــامه فمـــــــــــــــرتَعُه في بـــــــــــــاحةِ العلـــــــــــمِ واسِـــــــــــــــعُ

فـــــــــــــأحـــــــــكامُـــــــــــــه فيـــــــــــنا بـُـــــــدورٌ زواهِـــــــــــــــــرٌ وآثـــــــــــــــــــــــــارُه فيـــــــــــــنـــــــــا نجـــــــــــومٌ طـــــــــــــــوالِـــــــــــــــعُ(١)

(١) تهذيب الكمال٢٤/٣٧٧.

أهم المصادر والمراجع

١) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، لصديق بن حسن القنوجي (ت١٣٠٧هـ)، تحقيق: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ، ١٩٧٨م.

٢) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

٣) أحكام القرآن، لمحمد بن إدريس الشافعي أبي عبد الله (ت٢٠٤ه)، جمعه الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت٤٥٨ه)، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٤١٤ه-١٩٩٤م.

٤) أحكام القرآن، لأبي الحسن على بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسى(ت٥٠٤ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣ه-١٩٨٣م.

٥) الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين، لشرف الدين أبي الحسن علي بن المفضل بن علي المقدسي ثم الإسكندراني المالكي المتوفى سنة (٦١١ هـ)، تحقيق رسالة ماجستير مقدمة من الباحث: محمد سالم محمد العبادي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤١٣-١٤١٤ه.

٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٦ه، وتتمة أضواء البيان، ط٢، ١٤٠٠ه-١٩٨٠م.

٧) الأم، لمحمد بن إدريس الشافعي أبي عبد الله (ت٢٠٤ه)، تحقيق : د.رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م.

٨) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٩) البيهقي وموقفه من الإلهيات، رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، جامعة الملك عبد العزيز ، الدراسات العليا الشرعية ، قسم العقيدة، ١٤٠٠ه ١٩٨٠م.

١٠) البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، مراجعة:د. عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ط٢، ١٤١٣ه-١٩٩٢.

١١) تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام)، لأحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٢) تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر(ت٥٧١هـ) ، تحقيق: أبو سعيد عمر العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، وطبع في سنوات مختلفة.

١٣) التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٤) تفسير الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي(ت٢٠٤هـ)، ، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفران، دار التدمرية، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٥) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٦) تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت٦٧٦ه)، ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مع حواشيه، ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي(ت٧٤٢ه)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م.

١٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن الشهير بتفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.

١٩) جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر النمري، (٣٦٨- ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨.

٢٠) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن الشهير بتفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢.

٢١) حرز الأماني ووجه التهاني(الشاطبية)، للقاسم بن فيرة الشاطبي(ت٥٩٠هـ)، ضبط وتصحيح: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، ط٤، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.

٢٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني(ت٤٢٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٢٣) ديوان الشافعي: لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(ت٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة أ.د. مجاهد مصطفى بهجت، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٤) ديوان بهاء الدين زهير: لأبي الفضل زهير بن محمد بن علي المهلبي (ت٦٥٦هـ)، دار صادر للطباعة والنشر-دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت١٣٨٣هـ-١٩٦٤م

٢٥) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي(ت٢٠٤هـ)، ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم -، محمد بن إبراهيم الوزير (٧٧٥-٨٤٠)، تقديم: فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، اعتنى به: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

٢٧) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ)، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف ، الرياض، ط٢.

٢٨) سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة (ت٣٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٢٩) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي (ت٧٤٨ه)، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٢ه- ١٩٨٢ م.

٣٠) شرح مختصر خليل للخرشي (وبهامشه حاشية العدوي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله(ت١١٠١ه)، دار الفكر للطباعة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٣١) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٣٢) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦ه)، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، ١٤١٩ه-١٩٩٨م.

٣٣) صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت٢٦١ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٢ه-١٩٩١م.

٣٤) طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي(ت٧٧١ه)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي- د.عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية.

٣٥) علم أحكام القرآن دراسة في نشأته وتطوره ومدوناته للدكتور/ مولاي الحسين بن الحسن بن ألحيان الأستاذ المشارك في كلية التربية/ فرع الطائف/ جامعة أم القرى/ مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٦، ع٢٨، شوال١٤٢٤هـ.

٣٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء.

٣٧) الفقيه والمتفقه، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٢هـ)، تحقيق: عادل يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، جمادى الأولى١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٨) الفهرست، لمحمد بن إسحاق أبي الفرج النديم، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٨ – ١٩٧٨م.

٣٩) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد على التهانوى (ت١١٥٨ه)، تحقيق: د. علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٤٠) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري(ت٧٣٠ه)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ه-١٩٩٧م.

٤١) الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري(ت٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط١، ١٤٢٢ه-٢٠٠٢ م.

٤٢) المجموع شرح المهذب للشيرازي، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة.

٤٣) مجموعة الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية(ت٧٢٨ه)، تحقيق: عامر الجزار، وأنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، ط٣، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.

٤٤) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، لمحمد جمال الدين القاسمي(ت١٣٣٢ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦ه-١٩٥٧م.

٤٥) مصادر التفسير، د.مساعد سليمان الطيار، بحث منشور في شبكة التفسير والدراسات القرآنية .

٤٦) معرفة السنن والآثار، لأحمد بن الحسين البيهقي(ت٤٥٨ه)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية + دار الوعي + دار قتيبة، كراتشي بباكستان + حلب + دمشق، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

٤٧) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لياقوت الحموي الرومي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٤٨) مفاتيح الغيب- التفسير الكبير، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠١ه-١٩٨١م.

٤٩) مناقب الشافعي، لأحمد بن الحسين للبيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٥٠) مناقب الإمام الشافعي، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق:د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٥١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٥٢) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤ هـ)، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٥٣) مواهب الوفي في مناقب الشافعي، إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري الشافعي ت٧٣٣، تحقيق ودراسة حافظ حامد محمود الخضري ومنير أحمد الوقار، ناشر مبشر أحمد رباني أبو الحسن رئيس مركز أم القرى أهل الحديث لاهور باكستان، ط١، ١٤٢٥-٢٠٠٢م.

٥٤) نشر العبير في منظومة قواعد التفسير، لأبي الفضل عمر بن مسعود الحدوشي، كتاب إلكتروني.